ديوان

منصور شاهين الغريب

قوال المعنى اللبناني

من معاملة الدامور

تتقدمهُ نبذة في الشعر والزجل وتتبعهُ مطالع مختلفة
لبعض مشاهير القوالين

طبعتهُ ادارة جريدة الحارس على نفقة صاحبها

امين الغريب

طبع بمطبعة جدعون * بيروت عام ١٩١٢

مقدمة الكتاب

« بقلم طابعه صاحب جريدة الحارس »

ليس غرضي من نشر هذا الكتاب تخليد ذكر والدي فقط . وان يكن هذا الامر نفسه واجباً مقدساً عليَّ اولاً بالنسبة اليه وثانياً الى ابناء لبنان وسوريا الذين يسرون طبعاً بنبوغ الافراد منهم في اية وجهةٍ كانت من وجهات هذه الحياة . بل انني اقصد فيه ايضاً خدمة هذا العصر الذي يستحق « قول المعنى » ان يكون مرآته الشعرية الحقيقية والاصلية . لاننا ونحن شعراء نقلد تقليداً اولئك الذين سبقونا من اصحاب الشعر الفطري في العرب . ونحاول ونحن في هذا العصر العشرين أن نتخلق من الشعر العربي باخلاق العصور القديمة . ولذلك ترى الطريقة الشائعة عند شعرائنا في هذه الايام هي التي بوجه الاجمال كانت شائعة عند شعراء ذلك الزمان . ومهما يحاول شاعرنا العصري ان يفكك من القيود القديمة فهو لا يزال يتشبب ويتغزَّل في بداية كل مدح . ويصرف اسنانهُ المغتاظة عَلَى الدهر في مفتتح كل رثاء عَلَى نحو ما كان يفعل المتنبي وابو تمام والبحتري الذين عنهم في الغالب اخذنا وعَلَى منوالهم المخصوص نسجنا

اما ونحن قوالون فاننا نمثل عاداتنا الحاضرة لان قول المعنى او الزجل

اللبناني مختص بنا ومنسوب الينا . فاذا اراد ابناء ذريتنا المقبلة ان يعرفوا شيئاً حقيقياً عن اميالنا العامة وانصرافات اذواقنا الشعبية لايمكنهم ان يعرفوا ذلك من اقوال الشعراء لانهم مقلدون . بل من اقوال القوالين لانهم فطريون وطبيعيون

اما والدي صاحب هذا الديوان فقد ولد عام ١٨٤٨ في معلقة الدامور لبنان . وكان ابوه شاهين آغا زهران الغريب في سعة من العيش فادخله احسن مدارس تلك الايام . وهي ليست بالطبع كلية علمية ولا تعلم اكثر من القراءة حتى المزامير . والكتابة حتى تعليق الاسم . فلما نال شهادته المدرسية في هذين الفنين وجد في نفسه ميلاً شديداً الى المطالعة فانقطع اليها ودرس كل ما كان متداولاً بين ايدي اللبنانيين في تلك الايام حتى صار يعرف غيباً كثيراً من قصائد شعراء العرب ولاسيما الواردة منها في تاريخهم المختصر وفي مجلدات سيرة عنتر

ولم يكن ممكناً أن تنحصر في رأسه شعلة الذكاء المتفردة فمال الى ما كان شائعاً في عصره وهو قول المعنى ورغب فيه رغبة شديدة حتى روى لي مراراً انه كان وبعض رفاقه كلما عرفوا بوجود عرس في قرية يقصدونها ويأخذون يحومون حولها حتى يراهم احد الاهالي ويدعوهم لحضور ميدان الذكاء

وبرع في هذا المضمار براعة اكسبته شهرة عظيمة في كل البلدان التي تعرف شيئاً من قول المعنى . ولما اعيد الى هذا الفن زهاؤه منذ خمسة عشر عاماً على ايدي بعض وجهاء هذا العصر كانوا يتسابقون الى

دعوته لاستماع شيء من اقواله ٠ لكنهم لسوء حظ الفن نفسه ما ادركوه الا وهو يقول « ياريت بعد الشيب يرجع لي الشباب »

وهو لا يزال الى اليوم في معلقة الدامور في الرابعة والستين من عمره متمتعاً والحمد لله بصحة لا بدّ من تيجها عن قضاء عمر كامل في ميادين الحروب الناعمة والمفرحة التي يحمل فيها القوال على جيوش كثيرة وهو جالس بين اصحابه ومحبيه ينقر الدف ويتهلل

ومن يلاحظ اقوال هذا الديوان يرى فرقاً عظيماً بينها وبين ما هو مألوف من قول المعنى في القرى ٠ وذلك لانكباب صاحبه الدائم على المطالعة ورغبته الظاهرة في ان يخلع على هذا الفن الخصوصي ثوباً عربياً زاهياً زاهراً لا يسمح للمتطفلين بان يتلمسوه فتعلو بذلك منزلته كقوله في احدى مراسلاته التي ستراها

« ان المعنى شعر موزون الكلام　　جهل البشر خلاه ضد المستقيم »
« قصدي انا ارجاعهُ طبق المرام　　او هجره أحلى من القول السقيم »

وهكذا ترى ايضاً في مجمل اقواله تأثير المطالعة عليه وشدة انتباهه وصحة ذاكرته مع توقد ذهنه حتى ترى على كل اقواله مسحة عربية بحتة خالية من التكلف والتصنع ولا ينقصها الا الحركات النحوية ٠ اما سلامة ذوقه في تركيب العبارات وتنسيق المعاني وحسن اختيار الالفاظ الفصيحة والسهلة فقد جعلت اكثر علماء اللغة الذين سمعوه يأسفون اشد الاسف على كونه لم يتعلم القواعد لانه عند ذلك كان يبرع بين الشعراء كما برع بين

القوالين . ولاجل ذلك عندما كان بعض الافاضل في منزل المرحوم سليم بك عمون رئيس مجلس ادارة لبنان السابق يرجون منهُ اسماعهم شيئاً وهو يعتذر بكبر السنّ والانقطاع عن هذا الفن قال له رصيفهُ وصديقه القوال الشهير الخواجا الياس الفران بكل صراحة

« يا بو أمين قلبي لغيرك ما اشتكى   وفي محضرك قوال كلمة ما حكى »
« ان قلت وان ما قلت محفوظ المقام   يضل اسمك رب ارباب الدكا »

هذا وقد كلفت احد اخواني (خليل) ان يتحف القارئ بنبذة تاريخية في الشعر العربي وكيف تطرّق الى الزجل الذي منهُ قول المغنّى فألف النبذة التالية وهي كلية المناسبة في بدء هذا الكتاب

(امين الغريّب)

الشعر

العروض علم وضعه الله في صدور العرب حتى ليس واحد منهم الا وهو يقدر على قول الشعر طبعاً رُكّب فيهم قلّ قوله او كثر (١) ولقد يعجز الباحث في تاريخ الشعر العربي ان يرجع ببحثه الى ما وراء قرنٍ قبل الهجرة · وان معظم ما عزاه بعض الكتاب الى من تقدم ذلك العهد ليس الا من باب التخرص فلا يصح وضعهُ كله موضع ثقة · بل الاولى بنا الحكم بانه انما وضع من خلفاء ذلك العهد لتتمة حديث او تنميق رواية من حيث تيسر الوضع مما ينقلونه او تجود به قرائحهم · ولا يجزم بامكان النقل ذاته بالنظر الى لغة الشعر العربي من عهد شعراء الجاهلية المعروفين حتى يومنا · لانه اذا وجد شيء من الشعر الراقي الى ما فوق القرن الرابع للميلاد فانما يكون بلغة غير لغة امرىء القيس وسائر اصحاب المعلقات ونظائرها التي يشكل فهمها عَلَى معظم قراء العربية اليوم مع جميع القيود التي قيدت بها اللغة فما يكون مبلغ فهمنا من لغة تلك العصور ولا ضابط لها ولا قيد (٢)

والشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة (٣) على الاطلاق نظراً لملازمة الافكار الشعرية للفطرة البشرية منذ عهد الخليقة · وما العود والمزمار اللذان توصل الى اختراعهما بعض احفاد آدم الا وسيلة للتعبير عن لغة الشعر

اصله

ولا نريد باصل الشعر هنا مبتدعه في لغة من اللغات فان هذا لا سبيل الى معرفته · بل نريد به اصل نوعه · فاننا اذا كنا لا نزال نرى الى هذا اليوم ضروباً كثيراً من الاناشيد والاغاني التي يبتدعها ارباب فنونهما وهي تختلف عن بعضها لحناً وتوقيعاً امكننا الجزم بان اصل نوع الشعر ومنه العربي عَلَى ضروب اشكاله كان الغناء والانشاد وحسبك دليلاً عَلَى ذلك ان بعض شعر الجاهليين لا يخلو من شذوذ يخرج عما ضبطه العروضيون من بعدهم من جوازات الشعر كقول زهير وقد جزم المضارع بغير جازم :

وان سفاه الشيخ لا حلم بعده   وان الفتى بعد السفاهة يحلمِ

وكقول امرئ القيس وقد اخل بوزن الشعر الاخير

غدائرها مستشزراتٌ الى العلى   تضل العقاص في مثنىً ومرسل

ومثله قول طرفة

أمونٍ كالواح الاران نصأتها   عَلَى حبب كأنه ظهر برجدِ

وقول الشنفري :

غدا طاوياً يعارض الريح هافياً   يخوت باذناب الشعاب ويعسلُ

والعارف باصول الشعر اليوم لا يخفى عليه المتنافرات والاختلالات الثقيلة التي يمجها ذوقه في مثل تلك الابيات · وقد جاز لاصحابها ذلك

لنغمة كانت لهم في تلاوة الشعر يضيع معها الفرق في الطويل بين مفاعيلن ومفاعلن وليست للمولدين تلك النغمة الا في شيء من انشاد اهل العراق . ويضارعهم بها الفرس في انشاد الشعر العربي والفارسي اذ يمرون عَلَى ياء مفاعيلن مرًا خفيفًا فلا يشعر بحذفها اذا خذفت وقد يسكنون اللام ولا حرج (٤)

واذا صح ما قيل في شعر الجاهليين ان طريقة نظمه كانت بنغمةٍ شائعة عندهم علمنا ان هذا الشعر لم يرتقِ الى اوج مجده في البلاغة والانسجام وحسن السبك الا في متأخري الجاهلية الملاصقين للاسلام كامثال لبيد وزهير وعنترة والاعشى والنابغة الذين شعرهم ارقى من شعر معظم المتقدمين عليهم . اللهمَّ الا بعض المتوسطين بين الفريقين كامرئ القيس وطرفة والحارث بن حلزة اليشكري وعمرو بن كلثوم وغيرهم ممن لاصق عهدهم عهد الاولين من عرب الجاهلية . ولهؤلاء العرب في شعرهم بلاغة فائقة وفيهم الفحول (كالمهلهل واضرابه) . والمتأخرون من المتحلين للعلوم لهذا العهد خصوصاً علم اللسان يستنكر تلك البلاغة التي لهم اذا سمعها و؟ ظمهم اذا أُنشد ويعتقد ان ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما اتى من فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها . والا فالاعراب لا مدخل له في البلاغة وانما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود والمقتضى الحال فيه سواء كان الرفع دالاً عَلَى الفاعل او النصب عَلَى المفعول او بالعكس (٥)

اطواره

معلوم ان الشعر من توابع اللغة ولوازمها يرتقي بارتقائهـا وينحط بانحطاطها · فكان منطوق لغة العرب يختلف ويتباعد بتباعد القبائل ولهذا كثرت المترادفات في اللغة العربية الى ما لا نظير له في لغة اخرى ومع ذلك فالعرب هم هم اولئك الرماة الغزاة منذ الفي عام والشعر عَلَى تغيير لغته وزوال اعرابه ما زال انيسهم وسميرهم في الحل والترحال وسيظل كذلك الى ما شاء الله (٦) وهم لا يهنأون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج (٧) والشعر كان ديواناً للعرب فيه علومهم واخبارهم وكان رؤساء العرب ينافسون فيه وكانوا يقفون في سوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته عَلَى فحول الشبان واهل البصر حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان البيت الحرام ثم انصرف العرب عن ذلك في اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القرآن ونظمه فسكتوا عن الخوض فيه زماناً ثم استقر ذلك واونس الرشد في الملة ولم ينزل الوحي في تحريمه وسمعه النبي فاثاب عليه فرجعوا الى دينهم منه (٨)

ومن الكتاب من يقسم الشعراء بالنظر الى ازمانهم الى ثـلاث طوائف او طبقات اولها شعراء الجاهلية ثم المخضرمون وهم الذين ادركوا الاسلام ثم المولدون وهم سائر الشعراء · ومنهم من يزيد طبقة رابعة وهي طائفة المحدثين فيحصر المولدين في فئة قليلة من ابناء اوائل الاسلام (٩)

وقد تطوَّر الشعر في كل من تلك الطبقات تبعاً لسنة النشوء والارتقاء. حتى بلغ به المولدون درجة لم يبلغها اسلافهم نظراً لتوفر اسباب الترف والنعيم لديهم اذ تربعوا بعد شظف العيش عَلَى الطنافس الوثيرة وانتقلوا من الفاقة والجفوة الملازمتين للبداوة الى الدعة والسكينة الملازمتين للحضارة فرقَّت امامهم حواشي الدهر حتى مرحوا في روضٍ من الشعر اريض. ناهيك عن فضل القرآن عليهم بتهذيب عبارة لغتهم وإحكام تراكيبها وإصعادها في البلاغة الى أوج مراقيها. ولذلك تجد «كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة من كلام الجاهلية لانهم سمعوا القرآن وحفظوه وهو في اعلى طبقة من البلاغة وحفظوا الحديث ايضاً فشعر حسان والحطيئة وجرير والفرزدق وذي الرمة وبشار والاحوص ابلغ من شعر امرىء القيس والنابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير ونحوهم»(١٠) وقد لا يكون الظن بعيداً اذا قلنا ان معظم ما نقل الينا في مثل تغريبة بني هلال من شعر متقدمي الجاهلية او العرب العاربة او المستعربة هو صحيح اللهم الاَّ في بعض الالفاظ — «ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك واساليب الشعر وفنونهُ موجودة في اشعارهم ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلم فان غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب» (١٣) وامثلة ذلك كثيرة في قصص بني هلال وغيره

ثم جاء العلماء المسلمون فوضعوا للغة قواعدها عَلَى اصول وقفت عندها

الغاية من الاصلاح وتدقيق النظر علَى حجة الاسناد والرواية (١٤) ووضع منهم الخليل بن احمد البصري قواعد للشعر علَى قدر ما يستحسن من تناسق الالفاظ فيه سماها عروضاً او بحوراً وهكذا ارتقى الشعر العربي الى حيث يتقيد في شروط التناسق من الفاظ اللغة ولا سيما البديع منهـا لفظاً ومعنىً دون ان يتكلف الشاعر الى تناول الغريب من الكلام لان الالفاظ السوقية عندي لا تمنع ان تكون القصيدة جيدة (١٥)

فنونه

لقد تقدم القول ان الغناء والانشاد هما اصل نوع الشعر لانهما من خواصّ فنونه · والعرب قد ذهبوا فيهما مذاهب كثيرة بحسب منطوق لغتهم العربية الفصحى · حتى بلغ شعرهم حدّ الاعجاز ولا سيما علَى عهد القرآن · ولما تحضَّر كثير من العرب اصبحت الامة علَى قسمين قسم بدويّ وقسم حضريّ · فاما القسم البدوي فهو لغة الجاهلية التي نجدها في اهل البادية واما القسم الحضري فانه قطعة من لسان العرب يمازجها كلام السوقة (١٦) علَى ان لغة الحضريين ليست من الفصاحة «١٧» بالموضع الذي كان للجاهليين والعذر لهم في ذلك ان شاعر البادية كان يلتمس الفصيح من الالفاظ حتى يسمو علَى كلام غيره من الشعراء واللغات اذ ذاك كثيرة بين العربان واما اليوم فان اللسان الذي نُزّل فيه القرآن معروف عند كل الناس ولا يضطر الشاعر الى التماس الفاظ يفضل بها لسان غيره لتوحد لغة قريش في الامصار كافةً وانما وجب عليه ان يبتدع

المعاني «١٨» وهذا على ما ارى لا يحط بشعره من مقام الشعر القديم بل بدون شك يفوقه وخصوصاً اذا قلنا ان العبرة في فصاحة الكلام عند بعض المحققين في هذا العصر انما هي كثرة التداول والاستعمال · «فاذا اكثر العرب من استعمال كلمة اعجمية كانت فصيحة ضرورة لانهم لم يشترطوا في الفصاحة الا كثرة الاستعمال · ولكن يجب ان يراعى في اللفظ المعرَّب الخلوص من التنافر بحيث لا يعسر النطق به ومن الغرابة بحيث يكون مألوف الاستعمال ومن مخالفة القياس بحيث يكون على قانون الالفاظ المراعى عند اهل اللغة» «٢٠»

قلنا ان لغة القسم الحضري هو قطعة من كلام العرب يخالطه كلام المدوقة · وقلنا ان اصل نوع الشعر انما هما الغناء والانشاد · وان الافكار الشعرية ملازمة ابداً للفطرة البشرية · ولما كان العرب قد ابتدعوا ضروباً من الانغام والاناشيد في ما نظموا من الاشعار بحسب منطوق لغتهم هكذا فعل الذين اتوا بعدهم من الحضريين في ما جوَّزوا من فنون الشعر بحسب منطوق لغتهم الحضرية وهم على الاخص متأخرو الاندلسيين الذين لما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدثوا «في القرن الثالث للهجرة» فناً منه سموه الموشح ينظمونه اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان واوزانها دوياً متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة

ابيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد وتجاروا في ذلك الى الغاية واستظرفه الناس خاصتهم وعامتهم لسهولة تناوله ٠ وقرب طريقه «٢١» واليك مثالاً منه بيتان للطليطلي :

كيف السبيل الى صبـ ري وفي المعالم اشجان
والركب في وسط الفلا بالـ خرّد النواعم قد بان

ومن ارق الموشحات المشهورة قصيدة ابي عبدالله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب وهي التي يقول في مطلعها

جادك الغيث اذا الغيث هما يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس

دور

اذ يقود الدهر اسباب المنى تنقل الخطو على ما ترسمُ
زمراً بين فرادى وثنى مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا فسنا الازهار فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوباً معلما يزدهي منه بابهى ملبس

وقد تفنن الاندلسيون وسائر المولدين في الشعر تفنناً لم يعرفه الاوائل الا قليلاً فأفاضوا في التشطير والتخميس والمعمى والاحجية واللغز والدوبيت الفارسي الذي خالفوا فيه اوزان الشعر ٠ واكثر من كلف منهم بذلك

متأخروهم كالحريري وابن الفارض وصفي الدين الحلي . واما التاريخ الشعري فلا نعلم له شيوعاً عند المولدين وانما هو من فنون المحدثين او المتأخرين ولكنه بلا ريب مأخوذ عن اصل قديم جداً لان الحساب بالحروف اقدم من جميع الشعر العربي المعروف وقد استعمله اليونان والعبريون والرومان قبل العرب ولكنهم لم يلصقوه بالشعر . ومما يذكر استطراداً للمولدين ضروب كثيرة من الشعر كالمواليا وفي اصله اقوال اشهرها ان هارون الرشيد امر بعد نكبة البرامكة ان لا يرثيهم احد بشعر فرثت احدى جواريهم بشعر غير معرب حتى لا يُعدّ شعراً وجعلت تقول بعد كل شطر يا مواليا قالت

يا دار اين ملوك الارض اين الفرس   اين الذين حموها بالقنا والترس
قالت نراهم رمم تحت الاراضي الدرس   سكوت بعد الفصاحة السنتهم خرس

هذا ما يقال في اصل هذا النوع من الشعر العامي . والذي نراه انه اقدم من ذلك العهد بل نخاله معاصراً للشعر الجاهلي . وللبغداديين ايضاً من هذا النوع «القوما» وقد قيل انهم كانوا ينشدونه عند السحور في رمضان وسمي بذلك من قول المغنين «قوما نسحر قوما» وجعلوه على وزن الكلمات الثلاث وتفرع عنه فروع دعوها الزهري والخمري وغيرها (٢٢)

ولما شاع فن التوشيح في الاندلس واخذه الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم العامية من غير ان يلتزموا فيها اعراباً فاستحدثوا فناً سموه

الزجل والتزموا النظم فيه عَلَى مناحيهم لهذا العهد فجاءونا فيه بالغرائب واتسع للبلاغة فيه مجال بحسب لغتهم المستعجمة قيل واول من ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا اشتهرت رشاقتها الا في زمانه عَلَى عهد الملثمين · فهو امام الزجالين عَلَى الاطلاق · قال احدهم ورأيت ازجاله مروية في بغداد اكثر مما رأيتها بحواضر المغرب (٢٣) ولعلَّ في هذا الكلام شيئاً من المبالغة بدليل كوننا رأينا من اقواله ما لا يستحق ذكراً بالنسبة الى اقوال غيره عَلَى عهده

وفروع الزجل كثيرة يتغنى بها العامة منها عروض البلد والمزدوج والكاري والملعبة والغزل ولا تزال بقايا كل ذلك في جميع البلاد التي غلبت فيها اللغة العربية · وأخصها الزجل المصري والزهيري والبغدادي والمعنى السوري · ولا يدخل في عدادها القصيد البدوي لانه من بقايا الشعر الجاهلي الفصيح (٢٤)

امثلة من فنون الشعر العامي

هذا باب نفرده لذكر بعض امثلة من فنون الشعر العامي من اقدم عهدها الى الآن حباً بتمام الفائدة التاريخية · ونقتصر في ذلك عَلَى المهمّ منها وهو على ما فيه من الايجاز او الاقتضاب كافل لما نتوخاه · وليكن معلوماً ان ما كان من فنون الشعر العامي هو غير مُعرَب لان تأليفه انما هو لغرض تطبيق الالفاظ عَلَى مؤلفات من الاصوات بمقتضى صناعة الغناء والموسيقى · وقد اتسع لهذه الفنون مجالٌ تخالفت فيه الاغراض الى

حدّ لا يقع تحت حصر · حتى اختلفت فيها الاوزان والاوضاع ، وضاعت منها الاسماء والانواع ،

والشيء الذي قد نعاب به في موضوعات الشعر العامي انما هو اقتصارنا منه على ما يخالف نسق الاناشيد الافرنجية مخالفة كبيرة · فان غالب اناشيد هؤلاء بل كلها متناسقة على ما يوافق الاناشيد الوطنية التي تستعرض فيها الجنود او يتخطر لها الراقصون بكل انتظام · ويشذ عن ذلك غالب ما كان من قبيل الترتيل او الغناء اللذين اقتصرنا نحن في اناشيدنا على اشباههما ·

اما الشعر العامي على اوائل عهده في الاندلس فمن مثال الزجل منه قول الوزير ابو عبدالله الخطيب الذي تقدم ذكره وهو امام النظم والنثر قال:

امزج الأكواس واملا ماتجدّد ما خلق المال الاّ ان يبدّد

ومن قوله على طريقة الصوفية

بين طلوع ونزول * اختلطت الغزول *
ومضي من لم يكن * وبقي من لم يزول *

وهذه الطريقة الزجلية هي فن العامة بالاندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى انهم ينظمون بها في سائر بحور الشعر الخمسة عشر · ومثلها قول احدهم :

لي دهر بعشق جفونك وسنين وانت لا شفقه ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجع صنعة السكة ما بين الحدادين
الدموع ترشرش والنار تلتهب والمطارق من شمال ومن يمين
خلق الله الاعارب للغزو وانت تغزو في قلوب العاشقين

ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فناً آخر من الشعر العامي سموه عروض البلد . قيل واول من استحدثه رجل اندلسي نزل بفارس يعرف بابن عمير فنظم قطعة عَلَى طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن بعض مذاهب الاعراب مطلعها

ابكاني بشاطي النهر نوح الحمام — عَلَى الغصن في البستان قرب الصباح
وضوء السحر يمحو سواد الظلام — وماء الندى يجري بثغر الاقاح
باكرت الرياض والطل فيها افتراق — سر الجواهر في نحور الجوار
ودمع النواعر ينهرق انهراق — يحاكي ثعابين حلقت بالثمار
لووا بالغصون خلخال عَلَى كل ساق — ودار الجميع بالروض دور السوار

ومن مثال المزدوج من فروع الزجل قول احدهم وهو لا يختلف في ظاهر الالفاظ والوزن عما تقدم ولعله يختلف لحناً :

تعب من تعب قلبو ملاح ذا الزمان — اهمل يافلان لا يلعب الحسن فيك
ما منهم مليح عاهد الا وخان — قليل من عليه يحبس ويحبس عليك
يهبوا عَلَى العشاق ويتمنعوا — ويتعمدوا تقطيع قلوب الرجال
وان واصلوا من حينهم يقطعوا — وان عاهدوا خانوا عَلَى كل حال
مليح كان فن هويت وقلبي معو — وصيرت من خدي لقدمو نعال
ومهدت له من وسط قلبي مكان — وقلت لقلبي اكرم بمن حل فيك
وهوّن عليك ما يعتريك من هوان — فلا بدّ من هول الهوى يعتريك

ومن مثال الملعبة قول غيره

سبحان مالك خواطر الامرا ونواحيها في كل حين وزمان
ان اطعناه عطفهم لنا قسرا وان عصيناه عاقب بكل هوان
كن مرعي قل ولا تكن راعي فالراعي عن رعيته مسؤول
واستفتح بالصلاة على الداعي للاسلام والرضا السني الكمول
على الخلفا الراشدين والاتباع واذكر بعضهم اذ تحب وتقول
اجباحاً تحللوا الصحرا ودوا سرح البلاد مع سكان
عسكر فاس المنيره الغرا وين سارت في عزايم السلطان

اما بقية فروع الزجل فقد ضاعت امثلتها كما ضاعت عندنا لهذا العهد اسماء كل تلك الفروع . واصبح نظم الشعر العامي على غير ما كان في عهد الاندلس كما سترى في هذا الكتاب

اما الدوبيت الفارسي الذي تقدم ذكره ويسميه الشعراء المحدثون بحر السلسلة او الرباعي فهو وزن استخرجه المولدون على طريقة الفرس اكثر استعماله في المعاني الرقيقة او في فن الغناء . ولفظة دوبيت مركبة من لفظتين فارسية « دو » معناها اثنان وعربية « بيت » سمي بذلك لان الفرس ما كانوا ينظمون على هذا الوزن اكثر من بيتين (٢٥) ومثاله قول الصلاح الاربلي وكان قد رسل به الى الملك الكامل من سجنه فامر باخراجه :

ما امر تجنبك على الصب خفي افنيت زماني بالاسى والاسف

ماذا غضب بقدر ذنبي ولقد   بالغت وما اردت الأ تلفي

بقي ان نذكر شيئاً من فنون الشعر العامي الحديثة الشائعة لهذه الايام . واكثرها شيوعاً منها ما يسميه العامة مطالع معنىً وقرّادي وقصدان مختلفة الالحان . ومن مثال المعنىّ قول امام اللغة العربية الشيخ ناصيف اليازجي الشهير في حداثته على طريقة « مخمس مردود » :

شابهت بدر النور بالخلقه   لما لبست الجبة الزرقا
انت القمر والبدر ياغندور   لكن من اين للبدر هالمشقه

***

انت القمر والبدر ياغندور   بالطالع المسعد وفيض النور
برجك بقلبي لم يزل معمور

خيمت في شرقيه . حتى انشغل قبليه . وانت المخبا فيه
هذا السبب غرقان هالغرقه

***

هذا السبب محجوب عن عيني   والحجب ما بينك وما بيني
بالله لا تنكر وفا ديني

دين المحبة عليك . تنظر عيوني ليك . شو كان يصير بايك
لنك بتمرق صو بنا مرقه

***

لنك بتمرق صوبنا مره   وانظر عَلَى صبح الجبين غره
حلوه عَلَى حروف البكا مره
سبحان من سواك · يابدر في الافلاك · حيا الذي سماك
اسمك طلع له في البلاد شهقه

* * *

اسمك حسن وانت الحسن ياسيد   والكل من شانك خدم وعبيد
سلمت لك الروح ايد بايد
قال اكتب الصفه · بادرت بالخفه · تا كتب عَلَى الشفه
وانامحسب شفتك ورقه

* * *

وانا محسب خدك المنثور   قمت اقطفه بغيبة الناطور
ضحك وقال لي آه يامغرور
وان كنت مشبوه استمع مني   واعلم وعلم صاحبك عني
شرك الفلك مكتوب في فني
عادة عيوني الغنج · بالقلب ترمي وهج · وانا ياض الثلج
والثلج يعمل بالصدر حرقه

* * *

والثلج من جسمي انا محسوب   والشمس وجهي كيف مايذوب
قلنا فداه العاشقين بقلوب

قال ياحكيم الروم · انت النبي المعلوم · متى القيامة تقوم
قلت القيامة ساعة الفرقه

ومن امثال المعنى الاعتيادي قول الشيخ خليل اليازجي ابن الشيخ ناصيف المذكور وهو مثل ايه شاعر مشهور :

يا اهل الهوى بالله من عنده دوا يشفي جراح القلب من سهم النوى
سهم النوى وسهم اللواحظ صابني ماليش عالسهمين يا ربي قوى

***

سهم النوى وسهم اللواحظ صابني واحد يكفي للقتل ان نابني
لحظك لعشقك يا وليفي جابني وعشقي الك يا روح عاقتلي نوى
قتلي نوى وعشقك و بعدك ساعدو والصبر عني والجلادي تباعدو
بحبها عَلَى قتلي قامو جاهدو حتى ينالوا اجرهم منك سوى
منك سوى الهجران اقبل يا رشا وافعل بقلبي كلما تريد وتشا
تحكم عَلَى روحي وجسمي والحشا تبقى عيوني تنظرك حسب الهوى
حسب الهوى منك بنظرة برتضي ما بيغلب الايام الا من رضي
نور العيون حسنك عَلَى عيني يضي لكن بنارو يا حبيب قلبي اكتوى
قلبي اكتوى في نار حسنك واستوى والجسم بعد فراقكم هدّ وهوى
واصبحت نادي من تباريح الجوى يا اهل الهوى بالله من عنده دوا

ومن لطائف الفكاهات في هذا الفن ما نظمه احد الادباء من باب المداعبة :

قلتلو يا صاح قلّي شو تريد قلتلو شفت الحبيب قلي نعم
قلتلو مبسوط قلي شي كثير قلتلو شو حمّلك قلي السلام

* * *

قلتلو مبسوط قلي شي كثير قلتلو وعالهجر قلي منحصر
قلتلو والدمع قلي كالغدير قلتلو عايش قلي عالغرام
قلتلو عايش قلي عالجفا قلتلو يبظل قلي ما كفى
قلتلو شو بينفعو قلي اللفا قلتلو يطيب قال يطيب قوام

ومن اقوال الاستاذ الشيخ ابرهيم الحوراني محرر « النشرة الاسبوعية » وهو شاعر وناثر مشهور :

آمنت انا برهان ما يلزم انك نبي الزهر وبدر التمّ
من طور خدّك ما قرب موسى ومنين جبت المنّ للمبسم

* * *

من طور خدّك ما قرب موسى وناره اشترت منها السما شموسا
تخمين قبل مبسمك عيسى وحول رضا بك خمر حلو الطعم
حول رضا بك بالعجل خمره بكاس العقيق الزايده حمره
من برقها في وجنتك جمره قلبي مجامرها وصبري الفحم
خمرة شفافك طعمها سكر ممزوج بالاطياب والعنبر

خمارها خمارته مسكر   والوف عند بوابها تلتم
سياف لحظك جرّ سيفه الحد   يدفع عن الخمره وورد الخد
وتنهد المشتاق مثل الرعد   شاف الورود وما قدر عالشمّ
برّدت قلبي وقلت انا بشمه   في الحلم وبوسه عَلَى تمه
قال جفني والدموع دمه   مسكين وين النوم تا تحلم
اياك تطمع بعد هالمرّه   في الطيف كاسات الطمع مرّه
ما كل مرّه بتسلم الجرّه   خايف انا بعد الطمع تندم

***

ومن مثال « القراديات » ما نظمه احد الادباء من باب المداعبة :

بدقني وراسي دب الشيب   شو بعمله ياغلبي
شيب ولوانه مش عيب   لكنه حارق قلبي
حارق قلبي وكبودي   ومن جوره طالع ديني
ابيض وفعاله سودي   ظالم عما يعاديني
بحلق دقني ما بيبان   يفضحني بشعرات راسي
شو العمل صاير غالبان   شو التدبير من ها القاسي
شنباتي بالملقط   بنقيها شعره شعره
خايف اني صير احلط   تروح شواربي بالمرّه
بالصبغه مره افتكرت   ورجعت غيرت افكاري
عادهري يا ما صبرت   يبقى صابر عاناري

لون الصبغه ما يدوم منظرها منظر مقرف
والصابغ سرّه معلوم بيكفي مدامته بتعرف
يقهرني كون النسوان ما يحنوا عاشايب
مثل الابرص والجربان محتقر حاضر غايب
خبروا السمرا والبيضا خبروا الكل دخل العذره
شعراتي ان كانت بيضا نفسي بالهوى خضرا

ومن امثال غيرها على طريقة الموشح قول الخواجابولس رشيدالغريب وهو شاب من الانسباء اخذ الفن عن صاحب هذا الكتاب

خصمي خبص بطعامو فينا مغرور ما عارف في قدامو تلميذ منصور
خصمي خبص بطعامو المطلوب ماحد ما عارف في قدامو بولس رشيد
مهري انسفقتو لجامو بالهيجا وهد يشتت خيل خصامو باقطار البيد
لا تقوموا رجالي ناموا والليل مسود عاصياح الجيران قاموا في عزم شديد
وكل من اشهر حسامو من غمدو وكد وصاح ولولج في كمامو وفج التابور

* • * • *

ياشب القاعد حدي للمعنى حد يابو عيون المسوده وحواجب سود
قدك طالع عاقدي يسلم هالقد عني غنيلك ردي وعلينا جود
ولا تكون طباعك حدي مالك تحتد ما بتقدر تدخل حدي بماضي الحدود
لي عاده يوم الجدي اعدائي رد وابلغ منهم ما بدي وارجع منصور

* • * • *

وابلغ قصدي ومرامي و بر بي الهول * في حد حسامي الماضي ورمحي العسال
وادعي الجماجم قامي بتلول تلول * يبقوا خلفي وقدامي علو الاجبال
وفي دم الاعدا حسامي أصلومبلول * ورمحي ما يطلب راياً غيرلحم رجال
قال مهري شد حزامي وعلاني وجول * حتى مثل النعامي عالاعدا جول

ولبعضهم وهو من بحر المعنى الاصلي المشهور اليوم

يا عين لقاضي الهوى روحي اشتكي * اهلك جفوك وما حدا منهم لكِ
ما قلت لك يا عين حاجي تدمعي * حاجي بكي حاجي بكي حاجي بكي
ما قلت لك يا عين حاجي تدمعي * يبشح نورك ما تعودي تقشعي
يا عين سرك مع حدا لا تودعي * بلكي حكي بلكي حكي بلكي حكي
بلكي حكي يا عين بسرارك و باح * تعودي تقضي الحزن من بعدالفرح
يا عين عيشي بالهنا وشيخ الملاح * مغرم بكِ مغرم بكِ مغرم بكِ
مغرم بك يا عين محمود الخصال * قطاب ما بينك و بينو الاتصال
هلي بنفسك تم والمطلوب حصل * شوعاد بكِ شوعاد بكِ شوعاد بك
شو عاد بكِ يا عين حاجتها كفى * تلملمو الغياب والمحبوب لفى
هلي بنفسك تم والدين انوفى * شوعاد لكِ شوعاد لكِ شوعاد لكِ

خاتمة

ما هو الشعر ؟ هو بحصر معناه في التعريف او الاصطلاح الحديث روحٌ علوية تتجسم من الحقيقة والخيال في مادةٍ من الفاظٍ سحرية ذات اهتزازات موسيقية ، . ولا عبرة في غير ذلك كما تقدم بقيود العروضيين التي عَلَى رغم اتساع مفردات اللغة العربية واشتقاقاتها تذهب في كثير من الاحيان بما لا يوافقها من تناسق معاني افكار الشاعر . ولذلك جرى كثير من كتبة هذا العصر عَلَى طريقة الافرنج الحديثة في نظم الشعر الذي يسمونه « الشعر المنثور » وهو الشعر المطلق من قيود العروض والقوافي فاتسع فيه للمذاهب والاغراض مجال لا يتيسر اتساعه في الشعر المنظوم الا بالتعسف والتكلف .

عَلَى ان لدولة الشعر كيفما كانت طرائقه رجالاً مخصوصين قد يمكن لكثيرين آخرين تقليدهم في إبداع النظم ولكنهم لا يكونون من عدادهم في دولة الشعر . وذلك لان ليس كل من يبدع النظم يكون شاعراً كما ان ليس كل من يكون شاعراً يستطيع النظم . وصناعة الشعر كصناعة التصوير لا يبدع فيها الا من كان مفطوراً عليها منذ الصغر . وهكذا هي صناعة الموسيقي وغيرها من الفنون الجميلة . وهذا بديهي لا ريب فيه والا لما كنا نرى لبعض الشعراء العاميين كزجالي مصر وقوالي لبنان قصداناً ومطالع خليقة بان تعدَّ من بدائع النظم نظراً لاحكام صناعتها الشعرية فقط .

وقد تقدم لنا نشر امثلة من ذلك لشعراء نعرفهم في مقدمة حملة الاقلام ، في مصر والشام ، وكانوا لايامهم من أشهر القوّالين وخصوصاً عَلَى حداثة عهدهم الذي يسهل فيه قول الشعر (ولا سيما عَلَى مَن يكون في فطرته شاعراً) باللغة العامية . فلم تكن هذه اللغة البسيطة لتقصر عن ذخر المعاني الفائقة كما تذخرُ الاصدافُ الدرر الغالية حتى لقد يصعب ابرازها كما هي بغير سليقة الشاعر الحقيقي سواء كان شاعر الخاصة او العامة

ومعلوم ان الشعراء الحقيقيين في كل زمان ومكان قليلون لان الدهر قلما يجود بامثالهم . ولا ريب انه وجد للآن عدد كبير من شعراء العامة الحقيقيين ولكننا لا نعرف منهم غير القليل مما يؤثر عنهم من اقوالهم الشعرية ليس في مدوّنات الكتب فقط لانها قلما تكتب بل في حوافظ العامة المنبثين في كل مكان كالاسلاك حتى انهم ليتناقلون ما يحفظونه جيلاً عن جيل بدون ان يطرأ عليه نقص او تحريف . ومَن ذا الذي يقول ان جميع الاغاني والاقوال التي يتغنى بها المنشدون لهذا اليوم مودعة في بطون الكتب واكثر العامة الذين يحتفظون بتلك الاقوالَ كاحتفاظهم بالدر المنضود غير ملمين بالكتابة الا قليلاً وكل الاقوال انما هي ارتجالية حتى انها لا تكون عند القوالين الا بنت ساعة إنشادهم اياها . وهذا فضلاً عن رداءة الفاظها في اعتقاد المتعنتين من جملة اسباب اهمال كتابتها

على ان ذلك لم يكن ليحرم بعض المطابع والمكاتب نصيباً من فنون الشعر العامي كمجموعات فكاهية حتى ان بعض الجرائد تختص مجالاً

واسعاً لنشر كل مبتكر منها فيعجب القراء بها ايما اعجاب . ولا سبيل الى القول بان الشعر العامي آخذ يزول لان هذا لا يكون الا بزوال اللغة العامية والظن في احتمال ذلك بعيد، وما إعراض الكثيرين حتى من عامة هذا العصر عن بضاعة الشعر العامي بالبرهان عَلَى ثبوت دعوى المنذرين المتشائمين بزواله لان ترويج البضاعة لا يكون الا بتجويد المجوّدين، وهؤلاء قلما يكونون موجودين!

وقد ذكرنا كل ما تقدم من الكلام لكي نستطرد منه الى ذكر ما يتعلق بمنظومات هذا الكتاب وناظمها حيث جعلنا لنا منه بدون شك مساغاً حتى عند المتعنتين لطبع هذه المنظومات في هذا الكتاب ليس الا لاعتقادنا فيها اهلية الطبع وفي ناظمها الشاعر العاميّ الحقيقي . ولا دليل للقارىء عَلَى ذلك ابلغ من المنظومات نفسها لدى مطالعتها . واني لا اذكرن هنا ما اتفق لي حدوثه في ما يتعلق بمبلغ تأثير شاعرية ناظمها عَلَى نفوس سامعيه وقارئيه : فانني عندما كنت في الولايات المتحدة زرت صديقاً عزيزاً لي وهو شاعر عربي واستاذ كبير القدر في اللغة العربية والفقه ودكتور في الفلسفة والطب اسمه نجيب ناصيف سلوم . وفي عرض بعض الاحاديث من الشعر والشعراء تطرقنا الى الشعر العامي فذكرت له امثلة منه مما اعرفه عن والدي ولما وصلت الى قوله :

من بعد شيبي شبّ في راسي الغرام   من غادةٍ قد خالفت فيّ النظام

أبرقت اسرته وقال : أحقاً ان اباك يقول هذا ؟ فاجبته نعم . فقال

ارجوك اذاً ان نتمه · فلم تعِ ذاكرتي الا بضعة ابيات لاحقة ذكرتها له· وبعد ذلك قال لاعينّك برهاناً على ان اباك بالحقيقة شاعر · فللحال ابرز من مكتبه دفتراً عتيقاً وهو يحتوي على مقاطع شعرية لكبار الشعراء · ومن غريب الاتفاق انني وجدت بين تلك المقاطع المطلع الذي ذكرت مقدمته برمته ولما سألته كيف استطاع سبيلاً الى نقله قال : « انني لما كنت ترجماناً لبعثة المانية مهمة في حوران وصحارى العرب وهي تبحث هناك عن الآثار والعاديات القديمة كان من جملة الخدم المرافقين لنا رجل من الشام لا اذكر اسمه · فكان ينشدنا هذا المطلع اكثر من مرة ونحن رحل على ظهور الخيل او قيام في مضارب الخيام · فرغبت في نقله وحفظه في هذه المجموعة لكونه ابدع شعرٍ عامي قد اتفق لي سماعه وذلك منذ اكثر من عشرين سنة » فاخذني من العجب اذ ذاك ما لا بدّ ان يشعر به القارىء ايضاً

وليس هذا بالشيء الكثير بازاء ما يتناقل العامة في محفوظهم من الاناشيد والاغاني التي يمرّ عليها حين من الدهر مديد بدون ان تشاب بزيادة او نقصان · وهم هم الذين يعزى اليهم الفضل العظيم في حفظ معظم ما نقله الينا التاريخ من الآثار الادبية وخصوصاً الشعر في القديم كالياذة هوميرس المؤلفة من الوف الابيات المتلاحمة وغيرها ايام كانت الكتابة والطباعة غير موجودتين وليس دأب الناس غير تمرين حوافظهم على ادخار ما يرون ويسمعون

واذا علمت ان ناظم ابيات هذا الكتاب قد شاخ وهجر صناعة الشعر العامي من زمان حتى تناسى معظم ما نظمه وخصوصاً في حداثته علمت اننا لم نعتمد في جمع تلك المنظومات غير حوافظ العامة واكثرهم منتشرون في الدامور والشويفات وعبيه وكفرمتى ودفون وسائر المدن والقرى المجاورة . وكل ذلك قليل بالنسبة الى الكثير الذي لم نرَ له اثراً بعد . وخصوصاً أن المعنيَّ في ما خلا المراسلات لا يكتب . بل يرتجله القوّالون بداهةً وبدون استعداد على نغمة الدف وهوس الردّادين وتصفيق السامعين . وربما قال والدي ومناظروه في جلسةٍ استقامت طول الليل ما لا تسعه بطون مجلد كبير . وكم من جلسة وجلسة في ليلة وليلة

ونذكر هنا على سبيل الرجاء انه اذا اتفق لاحد قراء هذه السطور انه يعرف شيئاً مما قاله الناظم فليرسله الينا لعله يجتمع لدينا ما نردفه في الطبعة الثانية من هذا الكتاب وله منا الشكر الجزيل

---

١ الاغاني ٢ الالياذة ٣ ابن خلدون ٤ الالياذة ٥ ابن خلدون ٦ الالياذة ٧ الجوهري ٨ ابن خلدون ٩ الالياذة ١٠ ابن خلدون ١١ اغاني والموازنة والمتبارف ١٢ الالياذة ١٣ ابن خلدون ١٤ حضارة الاسلام ١٥ الاغاني ١٦ الاصمعي والاغاني ١٨ اليتيمة والاغاني ١٩ ابن خلدون ٢٠ الاشتقاق والتعريب ٢١ ابن خلدون ٢٢ الالياذة ٢٣ ابن خلدون ٢٤ الالياذة ٢٥ علم الادب

تنبيه

المطالع التي لا توجد اسماء ناظميها تكون لصاحب الديوان ٠
اما ما يكون لسواه فنشير اليه اشارة ظاهرة

وصف سيدة حسناء

حوالى عام ١٨٨٦

من بعد شيبي شبٌ في راسي الغرام ... من غادةٍ قد خالفت فيَّ النظام
نور القمر والشمس تحت نقابهـا ... ان اسفرت ينشقّ ديجور الظلام

* • *

نور القمر والشمس تحت نقابهـا ... تعتزّ في اوصافها خطابها
ألداء منها والدواء رضابها ... يا مرتشف نلت السعاده والسلام
يا مرتشق نلت السعاده والمنى ... وسلمت في كاس الثنايا من الفنا
من لماهـا النحل يستخلص جنى ... ان كلمت ميتاً ترك رمسه وقام
ان كلمت ميتاً ترك رمسه وهجر ... لحداً حجب عنهُ ضيا وجه القمر

* • *

وجهٌ علَى انوارهِ قلبي يطير ... مثل الفراش يعشو علَى ضوء النهار
وعندما المصباح من وجها ينير ... يدنو اليه فاقداً كل اصطبار
ان رمت اوصفها اجد باعي قصير ... من قصر باعي اقتنع بالاختصار
ما لها بين البشر يوجد نظير ... ساحل جبل ترك وعجم عرب وحضر
واسها حلوٌ لطيفٌ مستدير ... اي من رآه سبح المولى وشكر
منه تدلى شعر ناعم كالحرير ... مثل الافاعي فوق كتفيها انضفر

* • *

اسود لحظ العاشق النائي الديار		مثل الشبك يصطاد من فيها استهام
مثل الشبك يصطاد من يهوونها		اي من ذكر بالحسن يحسب دونها

* • *

دونها اهل المحاسن والبها		في قدّها وفي ظرفها وفي لونها
وجبينها الوضاح رونقهُ زها		حتى ترى الناسك غدا مفتونها
لو كان ابوها وامها ظبي ومها		ما انتجوا اعين تحاكي عيونها
لون حالك صاغ خلقة ربها		جنح الغراب لما ترفّ جفونها
اما الحواجب مثل سيفين اشتهى		قلبي وقلبك ان يكونوا جفونها
والخال جالس فوق كرسي خدها		حارس علي ورد الخدود يصونها
انظر ترى في انفها الحسن انتهى		زادت بها اهل الغرام فنونها
لو نظرها قيس كان فيها التهى		وعاف ليلى وانحسب مجنونها

* • *

كم الف عاشق في الهوى مرهونها		وكم في حشا اهل الهوى ارمت سهام
وكم في حشا اهل الهوى ارمت نبال		تقتل ومن يقتل بها قتله حلال

* • *

مقتولها في الحب لا يحسب قتيل		لكن الى جنات مولاه انتقل
الوجه كالبلور شفاف وصقيل		يفترّ عن ثغرٍ بهِ صفيٌ لآل
والريق احلى من كؤوس السلسبيل		والفم خاتم صاغهُ ربٌّ الجلال
من شفتيها دم قتلاها يسيل		وعطرت انفاسها ريح الشمال

لله من عنقٍ لها حلوٍ طويل تفضح به ان اجفلت عنق الغزال
ما له بين الورى يوجد مثيل فيه الكواكب عقد والغرّه هلال
صدرها بلور وعليه نزيل حقين فضه لا يخامرها زغل
رمح الرديني قدها لما يميل يشكو ثقل اردافها شكوى دلال

* * *

وان جيت اوصف بعدما عادلي مجال حيث الادب يقطع عن الباقي الكلام
حيث الادب يقطع كلامي واللبيب واجب يكون في مثل ذا المعنى اديب
وصفي جعل عند البشر شوقاً غريب كي يعرفوا الموصوف من بين الانام
كي يعرفوا الموصوف من بين البشر تلك التي في حسنها نظمي اشتهر
هذه محاسن من لها في القلب دار الست آلكسندره بنت الكرام

مطلع فراق

يا حسرتي انا ثقل حالي جبت الطبيب حتى انال فراج
قال الطبيب بالكاد يا مسكين لعلتك عندي تلاقي علاج

**

قال الطبيب بالكاد يا مسكين لعلتك توجد دوا مسكن
لو كان جرحك ضرب في سكين
كان لو دوا شافي ما كان يعصاني
جرح الهوى جافي يا شب كعاني
هذا الكلام كافي ما لك طبيب ثاني
غير وجه الحب ما يشفيك عنده دواك للغير ما تحتاج

**

غير وجه الحب ما يشفيك لو حط رب الطب يده فيك
لما حكى وسمعت منه هيك
صيحت يا ذلي وبكيت بالعالي
لما الحكيم قلي انه ثقل حالي
صرت في عله ما شخص يرثى لي
عني وليفي صار متغاضي وحط ما بيني وبينه سياج

**

عني وليفي صار متغاضي بغيري النهي وما عاد لي فاضي

يا اهل الغرام ما ينوجد قاضي
كي ينصف المظلوم ويعاقب الظالم
يا عاذلي لا تلوم ما انت بي عالم
انا هو المشلوم وانت الذي سالم
لو كنت مثلي بالهوى منصاب لكنت تتأوه وتتوهج

* • *

لو كنت مثلي بالهوى منصاب من قصتي ما كنت تتعجب
لما حبيبي عن عيوني غاب
ركب عليّ الهم ما عاد لي همه
والقلب نقط دم والجسم في حمه
ما عاد صوبي همّ لا دين ولا دمه
في مذهبه تخمين قتلي حلّ حتى هجرني وبالفراق حرّج

* • *

في مذهبه تخمين قتلي حلّ حتى هجرني وللمفاصل حلّ
خايف يكون حبل الموده حلّ
ويقول حقك ضاع صار الرجا مقطوع
خدلك بكثر وجاع وعيون ترش دموع
ما عاد قلبي يساع نادبت يا يسوع
اجمع بيني وبين خلاني او خوذ روحي ومن حياتي حاج

مطلع فراق

ياأسمر كويت القلب في نار الغرام وخليت جسمي جلد من فوق العظام
لانت قلوب القاسيه والصخر لان ماكان قلبك يوجعك وتقول حرام

* • *

لانت قلوب القاسيه والصخر لان من نهيدي وكتر ما بصيح أمان

* • *

لو كان قلبك من حديد حاآه بلين وتقول هذا معذبينه من زمان
وعدتني ووعد المحبه لايمتين حلّ الوفا يامهجتي والوقت حان
من قيد حبك حلّها العبد الرهين يكفيه ما تحمل لاجلك من هوان
نهدتي بتشيب الطفـل الجنين وانت ما تشفق عليّ يافلان

* • *

ان كان قصدك للوفا عند الكفان في وقتها ما يعود محتاج الكرم
في وقتها ما يعود للصاحب وجوب بتكون شمس العصر ولت عالغروب

* • *

ارجو جمالك تجعل الملتقى قريب ولىّ الزمن يامهجتي وبدنا نتوب
ولىّ الزمن وبلتني خط المشيب كاس المنيه صار جايي على الدروب
لاتظنّ انك في معاملتي مصيب لو كان جسمي صخر كان حله يذوب

ولو مايكون من قبل كاويني الحايب　　ما كنت نفخت اللبن من دون وجوب

* * *

لولا صدودك مادخل جسمي كروب　　ولا بقيت طول الليل محروم المنام

سليمه

مطلع سليمه الشهير قاله في محضر طرب جمع الجنسين وكان بينهم فتاةٌ حسناء اسمها سليمه · وأغرب ما في الامر ان كل الحاضرين كانوا يردون على القوال ولم ينتبه احدٌ لقصده الحقيقيّ :

يا عين مالك كل يوم مالك　　تتعبيني وتتعبي حالك
انا عليّ الهم والتنكيد　　وانتِ سليمه شو على بالك

* * *

انا عليّ الهم والتنكيد　　وانت عليك الشوف والتوكيد
يا عين قلبي هكذا ما يريد　　ارثي لحالي وبطلي شغالك
ارثي لحالي واتركي الماضي　　ما عاد قلبي للغرام فاضي
يا عين لو كان للهوى قاضي　　لاشكي له عن حالتي وحالك
لاشكي له عن حالة الاثنين　　صبري فرغ والصبر الى حدٍّ أين
ان لمت قلبي قال لوم العين　　ما هو عليّ الحق في ذلك
ما هو علي بحق عاملني　　ضمن حبس الجسم شاملني
قل لعينك لا تراسلني　　حتى اكون حريتي مالك

غزل

وقال يوماً في محضر فرح وكانت عَلَى مقربةٍ منهُ غادةٌ هيفاء

حركت يدي ورمت اني مدَّها　　فكري انتهرني وقال يدك ردها
سيفين من فوق العيون مجرده　　تقتل وتحمي ورد كرسي خدها

***

سيفين من فوق العيون مجرده　　تحمي الحمى عن كل غايه مجرده
خلَّت لحومي عن عظامي مجرده　　بين العرب والترك ما في قدها
بين العرب والترك ما في مثلها　　الله يرحم كل شخصٍ مات لها
ان اقبلت كل الطيور ناغت لها　　وان ادبرت تمشي الكواكب حدها

لسيدة في سهرة في شملان

سنة ١٨٩٥

لو افترضنا البدر لونه بلونها　　يضحى يحسب بالمحاسن دونها
البدر في ذات البها شبه بهـا　　لكن من اين له عيون مثل عيونها
البدر في ذات البها شبه بهـا　　لكن من اين له مثل عينين المها
الله خلقها في المحاسن وانتهى　　جنح الغراب لما ترف جفونها
لما ترف جفونها جنح الغراب　　ومخصصة من اصلها بثقل الحجاب
تمشي وترمي من لواحظها حراب　　تقتل بها وقت الغضب مفتونها

وكان احد اصحابه القوالين مفارقاً خليلةً اسمها برجيه فاغتنم فرصة وجوده في محضر طرب وقال تلميحاً :

شمس الضحى عن « برجها » غابت   كثر البكا ما عاد ينفعني
دهري غدرني وجار باحكامه   وفي فراق الحب لوّعني

•

دهري غدرني وجار باحكامه   ولاصوب صدري صوب سهامه
رح يا نسيم للحب بمقامه
خذلي كتابي وروح   عن قصتي واشرح
قل له الحزين مطروح   محروم شرب الراح
عافرقتك ينوح   والعقل منه راح
يبكي ويذكر مدة الملقى   ويقول بلكي الدهر يجمعنا

•

يبكي ويذكر مدة الملقى   وفرقتك حرقاً علَى حرقا
قديش جسمي من الهموم يلقى
هجرك حرمني النوم   جسمي غدا منضام
خليتني مسقوم   ما يفيدني المرهم
« برجي » غدا مهدوم   هيهات يترمم
وحدي بقيت وفاتني حبي   ناديت له هيهات يسمعني

•

وحدي بقيت وفائتي حبي — كثرت وجاعي واختفى طبي
لو تشوفني ضبّه وراغبي

لقلت يامسكين — وبكيت يا انسان
جرحتني بسكين — من لحظك الفتان
وحالتي تحزْن — وتلين الصوّان
يانغصةً مامثلها نغصه — قبل السفر لوكان ودّعني

* * *

يانغصةً مامثلها نغصه — قصتي ما بتنحكى وغصه
اسقيتني عافرقتك غصه

والبعد ضانينا — والهجر قاتلنا
عا عهدنا بقينا — للغير ما ملنا
فرحت اعادينا — وشمتت عواذلنا
لا تشمتوا يا عاذلين فيا — حبي ان ضربني ما يوجعني

* * *

لا تشمتوا يا عاذلين فيا — صابر عَلَى حكم الجرى عليا
وان جمعنا الدهر بسويا

يا صاحبي بحاكيك — ما صار بحكيلك
بالروح انا افديك — والجسم اهدي يلك
ويكون قليلاً فيك — وبظلْ صافي لك
لوفتني ياصاحب ما بفوتك — وبشتريك لو كنت بايعني

بدر

وقال يعاتب فتاة اسمها بدر

من صغرتي في هالطبع خلقان حفظ العهود عندي من الايمان
كنت اهوى البدر دشرته لما دخل في الزود والنقص

* . *

كنت اهوى البدر دشرته لما نقص ما عدت عاشرته
ابقيت الى غيري مسايرته

طبعي نفر منو ما عدت راغب فيه .
يا ناس لا تظنوا ظلماً انا بجافيه
اصل السبب منو عا زلته بكافيه

ما في ولا طلعا بلا نزلي ولا عود في الدنيا بلا دخان

* . *

ما في ولا طلعا بلا نزلي مهما حكيت لك قول جايزلي
وليت غيري رضيت في عزلي

خيّبت ظني فيك خليتني ملبوك
وأدخلت معي شريك في محبته مشبوك
ابدلت باز بديك فاتل ذهب بتكوك

في هالتجاره ضاع رسمالك وصرت من بعد الربح خسران

في هالتجاره ضاع رسمالك   ضيعت ربحك ما رجع مالك
احلف يمين بتغيير اعمالك

بمحبتي لا تبوق   ولا تكون بوّاق
كاس العكر بيروق   مثل الطعام ينذاق
وان كان عندك شوق   وفي غيرنا معلق
بتكون خاين ناكث العهدين   وتنشجب في موقف الديان

* • *

بتكون خاين ناكث العهدين   ويشكوك في يوم القيامه اثنين
شخص الذي بوجهين ولسانين

من البشر مذموم   والرب ما يحبُّه
لما القيامه تقوم   في النار يبدُّه
ابن الاصل مازوم   في النصح الى حبه
مني نصيحه خاليه الغايات   راجع افكارك واتبع الأيمن

وكان احد اصدقائه في محضر فرح يشكو خليلةً
قلبت له ظهر المجنّ واعتصمت بدعوى
العفاف . فقال تلميحاً :

يا نخلة اللّي مصونّه جوّى البراج   والتمر فوق غصونها ناخ ونضج
من بعدما بيدي قطفت ثمارها   شو بقالو لزوم تثقيل السياج

* • *

من بعد ما يدي قطفت ثمارها — وضميت في كفي اليمين اغمارها
وذوقت فمي حلوها ومرارها — واشتريت وبعت وملأت الخراج
واشتريت وبعت والمولى رقيب — وكان رب العرش كاتب لي نصيب
قصدك تداوي ميتك حتى يطيب — ما بظن عاد يفيد للميت علاج
ما بظن عاد يفيد للميت دوا — لو قمت لو بقراط ما عاد في نوى
كيف بدك تغلقه باب الهوى — عني وانا تسلمت مفتاح الدرج
عني وانا تسلمت مفتاح الحديد — كل يوم عن يوم في حبك يزيد
عن دخول جنينتك مش راح احيد — ولا اسكر مخزني بعد الرواج
ولا اسكر مخزني بعد النفاق — اصبر وابقي دعوتي للاتفاق
ان كان في البستان ما عاد لي فناق — سور الجنينه بهدمه يبقى فجاج
سور الجنينه بهدمه ما يعود سور — وما بصوّر امر عندي ما بصور
مش راح يفيدك جبرها بعد الكسور — لو تكون طبيب جبرتها قبل العرج

وقال في الحماسة

يا عبد هم وقوم وأف عالحصان علقت بين القرايب يا فلان
هات لي حسامي وقدم الرمح الطويل واقلع سنانه وحط باقة زعفران

* • *

هات لي حسامي وقدم الرمح الطويل منحب نلعب لعب لا نردي قتيل
كد عاصوت المنادي والعويل واقصد محل المعركه وسوق الرهان
واقصد محل المعركه لمحلها وقل لهم قتل النفوس ما حلها
خبر الفرسان عني وقل لها ان سلمت تسلم وان عصيت تهان

ومما قاله في حفلة فرح في بدادون

كل عمري خوض بين الجحفل ارجع سليم وراية البيضا الي
صحبت صارم ابن مير المؤمنين صاحت لنا العربان تسلم يا علي
صاحت لنا العربان تسلم هاليمين

مثلما بتزور مكه المسلمين يزور سيفي كل صاحب مرجلي
يزور سيفي كل فرس منسي وان كان راسه يدق بعنان السما
كل عمره يخوض نقعات الدما ومن ذكا الفرسان حده منجلي

يوسف

اسم يوسف عند بارينا حلا خالقه ربي الى دفع البلا
لو ما نزل يوسف عَلَى مصر الصعيد ماتوا التناعشر سبط بسنين الغلا
لو ما نزل يوسف عَلَى مصر الصعيد ماتوا التناعشر سبط بالجوع الشديد
لو لم يكن يوسف الى مريم يريد ما كان نور الحق عالدنيا انجلى

مساجلة

كان المرحوم خطار ايوب الغريب وهو من كبار القوالين قد دعي يوماً الى حفلات لبنانية فلما رجع اجتمع حوله الاصدقاء في الدامور ليقص عليهم ما جرى فقال مطلعاً كانت الردة المهمة فيه :

لما دخلت الغرب وبلاد المتين صاحت بنات الحي نحنا في حماك

فاجابهُ صاحب هذا الديوان بمطلع هذه ردتهُ :

براهيم باشا خاضها لارض التراك وخلف منُّو همة محمد علي

وقال ايضاً للقوال نفسه في غير مكان

اهل الذكا بعرف مراتبها وكل عمر بيـ قوم بواجبها
اصبر عَلَى منصور يا خطار لتلعب الخمره بشاربها

مساجلة دينية

اجتمع مرةً صاحب هذا الديوان بالقوال الشهير الشيخ ملحم يوسف (ابو فندي) وهو من طائفة الدروز من كفرمتى في محل فرح واتصل بينهما الاخذ والرد الى ان قال الشيخ ملحم

صليت لربي واقتبل مني الصلا — حتى رسل السيف من بعد الخطا

فاجابهُ صاحب الديوان :

منجادلك يا صاحبي من مذهبك — عن كلمة اللي قلتهـا وحكيتها
كيف رب العرش يقبل لك صلا — وبعدك بثوب الجهل ما لفّيتها

وانت الى كتب الديانه تجهلا

مؤكد العقال بدهـا تقول لا — دين للجاهل اذا حاكيتها
دين للجاهل اذا كلمتها — تنبذك بالحال ان قاومتها
عن يد من قل لي الصلا قدمتها — وفي اي طرقه للسما ودّيتهـا

فاجاب ملحم :

بريد اسألك ياصاحبي هذا السؤال — ان كان ربك لك اما للجميع .

فاجابهُ صاحب الديوان

عندنا في كل آية منزلا — اي من قرع يفتح له رب الملا
عندكم مكتوب في كتب الدروز — غير للعقال ما يقبل صلا

كل من جاهل صلاته لا تجوز

بقدم شهاده من ثمانين الف بوز — عَلَى كلامي ما حدا يقول لا

فاجابه ملحم

ما بقالي جنب اتدير عليه خرجتني يا صاحبي عن مذهبي

فقال صاحب الديوان

لما الخلايق تعترف بذنوبها في قلب صافي الرب يجلي كروبها
في الآخره ما في احد ينفع احد كل عنزه معلقه بكرعوبها
المرء من فعله يعاب ويحمد
اهل الصلاح تجزى سعاده للابد والخطاة نحو الجحيم دروبها

وقال

عندي في الهوى عاده قديمه مبادي صادقه وحرّه وقويه
اذا راح الجسد لا بأس فيه بس الروح تبقى لي «سليمه»

وقال

عم بتقول لي باذنك خليني روح
مانك سامع باذنك عنّ المجروح

الألافيه

هي مطلعٌ مشهورٌ مرتب عَلَى حروف الهجاء كتبه صاحب الديوان في عام ١٨٧٠ وختمهُ بتاريخ جمّلي لتلك السنة ٠ وقد التزم الحروف في بداية كل شطر ونهايتهِ

ياقلب اصبر ربما صبرك نجع — هذا عليك مكتوب من الله انطبع
فقد الحبايب هدّ حيلي ومهجتي — وحط جسمي في العذاب وفي الوجع
فقد الحبايب هدّ حيلي ومهجتي — ياحرقتي يالوعتي ياوهجتي
ظهري انقطع ياناس قلّت نهجتي — وضاق صدري بعدما كان اتّسع
ضاق صدري بعدما كان انفرج — هاتوا ورق لاكتب عَلَى نفسي حجج
ادعوا قناني الحبر تفذق كالمواج — لاكتب عَلَى بلواي ما فيها بدع
لا كتب عَلَى بلواي ما فيها جرى — عَلَى فراق حبابي دمعي جرى

* ٠ *

باني بيوت عَلَى الهجاء مسجراً — تطرب المنضاق وتلذ السمع

ا

الاف اول ما انشينا في الصبا — آلفت ولفاً كان عزّ الاصحبا

* ٠ *

الاف الله قد بلاني في الهوا — أفنيت عمري في الهموم معذبا
انحلّ عزمي يابشر قلبي اكتوا — اشعل بقلبي نار زاد تلهبا

ألماء والنيران موجوده سوا اي من يمع هذي الجبار تعجبا
ان لم يكن للداء من ذاته دوا انثر جسم المتيم كالهبا

* • *

آهاً وآهاً كيف انا مستصعبا افقد وليفاً فيهِ قلبي إنفجع

ب

عَلَى الباء برم دولاب سعدي وانقلب، بعد الهنا جاني العنا وجاني التعب

* • *

عَلَى الباء بكيت بدمع من بعد الحبيب بلل ثيابي كثر ما منه انسكب
بنيت برج وقلت عمره ما يعيب باق في الدهر والبرج انخرب
بالك سليمى لا تآمن ياليب بايقه في اهلها وكل الصحاب
بعدت عني حبيباً كان قريب بعد الحبايب دأبها وعظم المصاب

* • *

باسمه في الوجه داخلها غضب بركان نار وكل من يدخل وقع

ت

على التاء تفرق شملنا ورحنا شتات تبكي العيون وتذكر ليالي المضت

* • *

على التاء تاه الفكر مني وما اهتديت تمت حياتي في المصاب وانقضت
تسمع انيني كلما وحدي اختليت تنهيد بصدع للصخور الجامدات

تأملوني بعدهم كيف انحنيت تفهموا من دون شهود وبينات
تهطل دموعي غيرهم لو إصطفيت تذرف وتنزل كالبحور الزاخرات

* * *

ترب الاراضي من دموعي تبللت تجري على الخدين خلجان ونقع

ج

عَلَى الجيم جفا المحبوب خلاني هجاج جنّ عقلي طار من راسي وخرج

* * *

عَلَى الجيم جرح القلب من بعدك يموج جوات صدري امتدّ لكن ما انفرج
جَبت الطبيب وقلت دخلك كن لجوج جاوب وقال لي علتك مالها علاج
جرّ دمعي وكان فايض بالخروج جفني جفاه النوم والظهر انعوج
جرّيت طرفي في الحمى وتلك المروج جالت عيوني وما رأت ذاك البهج

* * *

جدوا السفر لكنهم ابلوا المهج جربت صبر ايوب كله ما نفع

ح

عَلَى الحاء حرام قلب المفارق يستريح حيران ما يميز ضررها من المليح

* * *

عَلَى الحاء حلف ايمان ثابت في وضوح حرّم على نفسه الاغاني والمديح
حبي هجرني وفي الحشا بلّغ جروح حلّق عَلَى فكري وخلاني طريح
حالي دعاني في الورى من دون نصوح حامل عَلَى ظهري فتاها والكسيح

حان اللقا والقلب سرك لا يبوح حافظ ودادك مثل انجيل المسيح

・

حنوا عليه قبل ما يزور الضريح حلفتكم بحياة من عنا ارتفع

خ

عَلَى الخاء خطرحبي ورماني في فخاخ خلاً سقاني وزاد نوحي والصراخ

・

عَلَى الخا خنقني فقده وزدت الصريخ خلخل عظامي اللون من وجهي نسخ
خلوا المنازل بعدهم مثل السليخ خفت بعد فراقهم عطل المناخ
خابرت قلبي صار في صدري يشيخ خيم عليه الهم وجنوده اناخ
خلفوني بصبوتي قبل ان اشيخ خاب الامل في بعدهم والراس داخ

・

خاطرك قالوا ٠ انا جاوبت آخ خلت قلبي راح معهم وانشلع

د

عَلَى الدال دمعي من جرا الفرقا يزيد دوّن بقلبي سطور اقسى من الحديد

・

عَلَى الدال دهيوا بعقلهم اهل الفساد دشروني وصرت عن خلي بعيد
داير متيم متشح ثوب الحداد دربي جهلته وخانني الرأي السديد
دعوا حياتي بعدهم همّ ونكد دوم دايم في بكا ونوح ونهيد
دقوا طبول الهجر في صبح الاحد دلعه انا خمنتها تاري اكيد

**٠

دنوت نحو المصبغه والله شهيد　　دفعت ثوبي لاصبغه يوم الوداع

ذ

عَلَى الذال ذاب الجسم والعقل اتخذ　　ذقت كاس المرّ من بعد اللذذ

**٠

على الذال ذميت الفراق ماهولذيذ　　ذنب ما سويت يسوى الانتباذ

ذاك الذي اشربت حبه كالنبيذ　　ذلني حتى هطـل دمعي رذاذ

ذهني خمد ياناس من فرط الهذيذ　　ذبت لمـا شفت امر الله نفذ

ذئب الخطف هالريم الله المعيذ　　ذمته تبرا يرجع ما اخذ

**٠

ذابل جرحي القلب بالمولى استعاذ　　ذميت دهراً صارمه قلبي قطع

ر

عَلَى الراء راح العقل لما الظعن سار　　رمحاً رموا في القلب فوق المرار

**٠

عَلَى الراء رمت أني برفقتهم أدور　　رفّ عصفور الحشا وزاد الفرار

ربي ردعني وقال روق وكن صبور　　رديت ياربي وكيف الاصطبار

روحي وروحه روح في وسط النحور　　ريبوا سوا في العمر ما شافوا كدر

رحيلهم اورث علل طيّ الصدور　　رزقي قطع ما عدت قادر بابشر

**٠

ركبوا سوابق للسفر قبل السحر　　راحوا بمركب نشأط شراعه وقلع

ز

عَلَى الزَّاي زمان العز ولى وانعجز زهر غصني حل ما اعقد كواز

* • *

عَلَى الزَّاي زاد فراقهم قلبي نقيز زل عقلي وصرت احكي بالمجاز
زوم المرائر ذقت من بعد العزيز زان القنا لما مشوا صدري وخز
زاد جسمي بعدهم هم وخريز زلوامعي قصداً وكيف الظلم جاز
زارني طيف الحبيب زدت العزيز زاغ عقلي وقلت قلبي القصد حاز

* • *

زقفت بالراحات واعدمت الميأز زال المنام زاد البلايا ما دفع

س

عَلَى السين سلي جسمي الفراق ذابوا الحواس
سماً سقاني الهجر والقلب انغمس

* • *

عَلَى السين سعدي حال حظي منتحس سال دمعي واخمدت مني النفس
سل سيف اللحظ لما كان يميس سحب عروق العين احرمها النعاس
ساعة فراقه صحت ما عاد لي انيس ساعدوا الخوري عَلَى دق الجرس
سمعت صوت وقلت ياحظي التعيس سايلوا كاس الصفا زاد انعكاس

* • *

سليمى عَلَى برجي سطت عاب الاساس سالمتهم بعد وابقت لي اللواع

ش

عَلَى الشين شملي افترق حظي انخدش   شحم قلبي ذاب بعد الانتعاش

**

عَلَى الشين شقوا القلب شفته منلطش   شعلوا نار الفراق زاد انعطاش
شفت دمعي دم من عيني رشيش   شبه المطر لكن بناري صار نشاش
شيخًا نظر لمصيبتي صار مندهش   شيَّع خبر انهُ وجودي كالبلاش
شات قلبي وقلت مالك لا تعيش   شهقه شهق ما رد عاد دمعي طفش

**

شيَّلوا لظعونهم جسمي ارتعش   شبَّ قلبي وظعن خلاني تبع

ص

عَلَى الصاد صاح البين مامنه مناص   صح الصحيح من دمعتي لا كتب قصص

**

عَلَى الصاد صوبي مايله سليمى خصوص   صوّبت صاب الحشا منها رصاص
صارت حياتي زايله وعمري بنقوص   صايح بحيرة مثل عصفور بقفص
صدري انطبق قلبي تلوَّع صار بلوص   صبيت فكري روح لو كان لي مناص
صبري فرغ اصبحت اشهق مثل صوص.   صابر لحكم الله راضخ للقصاص

**

صبح العميق شالوا الظعون سعدي خلص
صرخت باعلَى الصوت صعب الانقطاع

ض

عَلَى الضاد ضاع العقل مني وانتفض ضامني فقد الوليف جاب لي مرض

* . *

عَلَى الضاد ضناني البعد قطعني عروض ضعضع فكاري مثل بحر الدمع فاض
ضلّ عقلي في دموعي صرت اخوض ضاق صدري السقم في جسمي ربض
ضاحي المحاسن راح وادعاني رفوض ضامري اعشب بدمعي كالغياض
ضوئي انطفا ما عاد يمكنني النهوض ضمران جسمي مثل عشب الصيف قاض

* . *

ضرّني ظعن الوليف لما نهض ضاعف وجاعي وحالتي حالة نزاع

ط

عَلَى الطا طفر دمعي عَلَى خدي وسقط طاف من عيني جعل حولي غبط

* . *

عَلَى الطا طعني البين طعنه في قنوط طير جناني والفؤاد مني فرط
طمنت قلبي وصرت اكتب له خطوط طوبالك قال لي حدت عن طرق الشطط
طلع جروحي كيف تشبه بحر لوط طافر دماها كالمناهل في شباط
طأطأت راسي وقلت راضخ للشروط طالعتها من بعد تنقيح الغلط

* . *

طرق الشطط ساروا وعافوا الارتباط طبقوا الواح صدري والضلاع

ظ

عَلَى الظا ظهر لي في المنام طيف ولفظ ظنيت يرضيني ويرضي من اغاظ

***

عَلَى الظا ظنوني خابت الفرقه تغيظ ظبيٌ نظرته غاب حين الايقاظ
ظلل لجسمي بفرقته همًا بهيظ ظهري انحنى وانحل من فعل اللحاظ
ظاهر دما دمعي عَلَى خدي لظيظ ظلماً جفوني اعدموني الانحظاظ
ظلام عذالي اغثني يا حفيظ ظرفي تعيس وحبهم قلبي حفظ

***

ظعنهم غاب العيون زادت جحاظ ظافر عليَّ فراقهم جفني دمع

ع

عَلَى العين عاف الولف ارضي والربوع عيني بكت حتى نأى عنها الهجوع

***

على العين عظم الهم خلاني صريع عقلي شرد والنفس لا ترضى الخضوع
عاتبت دهري قال لي ابقى شجيع عهدي باهل الحب تفريق الجموع
عند ذلك قلت بالصوت الرفيع عوني الهي قرِّب اوقات الرجوع
عذر الاحبه بالنوى كان لي سريع عمَّ الاسى منه فؤادي والضلوع

***

عامت خدودي من فرط سكب الدموع
عملت عَلَى الميلين خلجان وترع

غ

على الغيم غيظ الهجر لجبيني دمغ غمق جروحي ومن عذابي ما فرغ

* ٠ *

عَلَى الغيم غاب السعد من بعد البزوغ غابت فكاري من البكا والعقل زاغ
غدار دهري وعن مسالمتي يروغ غيم على بدر المنير وما بزغ
غبناً عليّ جاء هذا لا يسوغ غادروني وكيف حكم الغدر ساغ
غصني التوى ثمري سقط قبل البلوغ غار فكري وصرت مختل الدماغ

* ٠ *

غنى عليّ طير بين وطير زاغ غرقوني عند ما جسمي وقع

ف

عَلَى الفاء في اول زماني يا ظريف فتحت باب القلب ادخات الوليف

* ٠ *

عَلَى الفا فرحنا باللقا والكاس طاف فضيت فكري قلت ما مثلي شريف
فزّت سليمى بالعجل قالت وقاف فاغرة فاها علي يا لطيف
فوقتني الدهر عمره ما نصف فتال طبعه ما له خل وحليف
فوت اوانه وصار في حال التلف فرغ دماغه وصار ذو عقل سخيف

* ٠ *

فرح عذولي وامتشق سيفاً رهيف ثمه فتح بالبطل في حقي شرع

ق

عَلى القاف قبل الصبح ظعن الحب ساق   ققفف غراب البين عَلَى روحي ونعق

* . *

عَلَى القاف قلبي ما بقى قادر يطيق   قد ما ضيم وبلا وهموم ذاق
قاومت دهري إنطحن طحن الدقيق   قال لي صفالك خاطري والكاس راق
قلت حيث الدهر اصبح لي صديق   قيصر بعصره ما وصل هذا القناق
قرَّب اليَّ وقال يا سكران فيق   قلاب طبعي في عهودي ما انوثق

* . *

قدّ قدك يا معتر الف طاق   قدتهم في حبال مكري والخداع

ك

عَلَى الكاف كاس العز من بعده انترك   كفكفت دمعي من الحيا برّك برك

* . *

عَلَى الكاف كنا اثنينا ما لنا شريك   كل امر نفعله بالاشتراك
كوثروا ما كان عهد الحب هيك   كيف العمل والهم في صدري برك
كلمت حبي وقلت انا شو عملت فيك   كتفتني ورميتني تحت الشرك
كم الف مره قلت اني مصطفيك   كرَّ صوبي وقال لي روحي فداك

* . *

كفران ديني يا عشيري فرقتك   كسب غفرانات شتى الاجتماع

ل

على اللام لما ظعنهم جمّل وشال	لملمت دمعي فوق كرسي الخد سال

* * *

عَلى اللام لله ما بقالي ولا خليل	لولا الحيا من الناس قلت العقل زال
لملمت نفسي عند ما نادوا الرحيل	لعلعت صوتي وقلت عصر العز حال
لعت لوعه وقلت يا صبراً جميل	لو انصفوا ما كان حصل ماقد حصل
لوم عذالي دعا جسمي نحيل	ليت الحبايب يفتدوا الفرقه بمال

* * *

لي قلب يا خلان اذا الهجران طال	لبك مشاهير الاطبا ومـا انتفع

م

عَلى الميم مرّ الولف ما القى سلام	من دون سبب يقصد عذابي يا حرام

* * *

عَلى الميم مضى عمر المتيم في هموم	متأكداً في القلب دولابي برم
ما بقى من جثتي غير الرسوم	مثل قيس العامري عقلي انثلم
مالي عمل الا مراقبة النجوم	محروم طيب العيش مفقود المنام
موجود داير بالغلا بعدك احوم	من اجل هجرك صرت مهمول المقام

* * *

من شأن ربي ورب من صلى وصام	مدّ الايادي لا تقاطع بالرقع

عَلَى النون نادوا بخاطرك آن الاوان … نحن اعتمدنا نشيل حيث الوقت حان

* * *

عَلَى النون ناري شاعله وزدت الانين … نيران قلبي الحبت والنور بان
نهدتي منها يشيب راس الجنين … نايح كما الخنساء حتى الصخر لان
ناشدتكم بالله رب العالمين … نبهوني الظعن في اي المكان
نذراً عليّ العهد احلف له يمين … نسيان لا انساهم طول الزمان

* * *

نوحي وحزني ليس يلزمهم بيان … نوَّخ جماله الهم في داري ورتع

ﻫ

عَلَى الهاء هموا بالسفر ياويلتاه … هايم كما الولهان اصرخ آه آه

* * *

عَلَى الهاء همّا دمعي دماً لو تنظروه … هاطل على صحن الخدود عمق قناه
هاتوا ورق لاضيم قلبي واكتبوه … هذا الذي يبقى ومن يأتي يراه
هاوي الملاح ياناس بالله اعذروه … هكذا مقدر له من إبتداه
همي جمال القارحه ما شيلوه … هبني الصبر يامعين ايوب في بلاه

* * *

هتفت باعلَى الصوت للرب الاله … هوّن مصيبة من مجد لك وركع

و

عَلَى الواو وا ويلي انا شو عملت شو ودعوني من الوجع صيحت أو

* * *

عَلَى الواو وقت فراقهم كان وقت سَو والنار في طي الحشا وبصيح حوّ
وهمان جسمي والبصر ما يشوف ضو ولولت من كثر الاسى راجي الحنو
والدمع في عيني كبحر فيه نو والقلب يخفق والجسد ماله هدو
ودوا وقالوا تروح معنا انت او وحدك تريد تكون هل عندك سلو

* * *

ولفت حالي عَلَى السفر لولا ولو وسواس اتاني الناس بيقولوا خلع

لا

لا تقولوا راح وحبابه سلا لافي وحوش البر وطيور الفلا

* * *

لان الدهر ما انصف خليلا لا يخفاك مرة ما حلا
لاشي في الهوى مضنى عليلا لايم عاذلي ومعه اختلا
لاهاني وخطف طرفاً كحيلا لا حولاً من فعاله ولا
لايق لو فتح نحوي سبيلا لا والله انا ما قلت لا

* * *

لازم ولازم نتفرج بعد البلا لايع عَلَى الملقى وفي قلبي ولع

ي

عَلَى الياء يوم فراق حبي شابني ياما بكيت ودمع من عيني فني

* * *

عَلَى اليا يكوي البعد فوق الكي كي يلسع ويجرح مثل جرح المنحني
يا ناس جسمي بين ميت وبين حي يا نغصتي اين الاحبه تشوفني
يحموني كيف بدي قول خي يا رب افرج كربتي صبري فني
ياسايق الاظعان يطوي البيد طيّ يمم لدار الحب سلّم وانحني

* ٠ *

يمين قاطع حالفه برب غني يبقى عَلَى عهدي محافظ دون فزع
يبقى عَلَى حبي محافظ والعهود ورب السما ما بيننا يوقف شهود
لا بد ماليالي الهنا لينا تعود ونقهر الحساد وصحاب الطمع
ونقهر الحساد وصحاب الخلاف ونقول لهم عشبا يبس ازهى وخلف
تم ترتيبي عَلَى حروف الالف في سنين محرزه شهور وجمع
في سنين محرره حساب واصول حتى لدى اهل الذكا تحوز القبول
يامطّلع احسب لتاريخي وقول سبحان من عرشه على الكل ارتفع

١٨٧٠

مناقشة

دعي صاحب الديوان الى عرس في المتن مع نسيبه المرحوم خطار ايوب الغريّب الذي مرّ ذكره فتقدم احد القوالين الحاضرين الى خطار وقال :

خطار بدنا الموقعه توقع   حتى فرحنا يتم عالكامل

فاجابه صاحب الديوان قائلاً

يامن طلبت الموقعه توقع   خايف عليكم تطلع الفله
مثلما بترش في الحقله   عا كل حال تستورد الغله
مثلما بترش في الحقله   تجني الجنا من دون عنا وثقله
اذا طبخت المرّ بالمقله   مرّاً تلاقي ما بها عله
مرّاً تلاقي ما بها تعقيد   اعمل حسابك شوف شو بتريد
عن الحقيقه نحن ما منحيد   حلي طعامك نحن منحلي
حلي طعامك قدمه لنشوف   نحنا معك بالسرّ والمكشوف
منقابل المعروف بالمعروف   حتى علينا فضل ما نخلي
ما نخلي فضل الى مخلوق   وما منتعدى بفتح السوق
وان صار طعن وضرب ياعيوق   ضرباتنا بتزعزع القله
ضرباتنا بتزعزع الاركان   حتى يقال ان الجبل ما كان
وبعد هذا شاور السكان   ان طاوعوك يا الف بسملي

الكرّام

كانت جلسة فرح في قرية كفر متى شهدها القوالون ملحم يوسف والمعلم يوسف الباحوط وخطار ايوب وامين سعد الدين فطلب الجميع من صاحب الديوان ان يبتدىء امامهم وكان يعتذر فبعد الالحاح قال :

كرّام غارس كرم في موضع فسيح ومعتني بالكرم حتى يكون صحيح
عندما تصير الكروم تعطي جنا واجب على الكرام يقعد يستريح
. . . . واجب على الكرام يقعد في هنا
انتم جذور الكرم والزارع انا اتحفوني من جناكم بالمليح
اتحفوني من جناكم بالفنون حتى عليّ تصير اتعابي تهون
شلش الذي معهود من اصله يكون بالعنايه ينال حقه من المديح

وقال متغزلاً

بعد الممات يوم القيامه موه كدا يجري الحساب عن كل مامنا بدا
يظهر الديان ويشوف الحساب ويميز الخرفان من بين الجدا
يظهر الديان ويشوف الحساب وكل زله تشتهر فوق الحجاب
قد ما يكون الخطا يجري العقاب ما في ترجي ولا بيسمع الى حدا
ما في ترجي ولا يسمع الحكي وما يلزمه كثرة جدال ومماحكي

* • *

اذا جلس فوق الكراسي واتكا يعرف قلوب الناس كيف هي سالكه
اذناه تسمع للانين وللبكا وعيناه تخرق كل ظلمه حالكه
يدني اليه الصالحين ومن حكا شراً يعدّه من النفوس الهالكه
حتى ويعرف فكر اولاد الذكا ولا يعدي عليه خلط وبربكه

* • *

ان قال لي يامدعي قوم اشتكي بجاوب تعبت وضيعوا تعابي سدا
بجاوب تعبت وضاعت تعابي بلاش ذنب ما عليّ ولساني ما خش

* • *

هم ابدلوا فعل المجمل بالوحيش وركبوا بآذانهم حال الطرش
ورد المكبس قابلوهُ بالحشيش وسبع المجزر بادلينه بالكباش
شبهوا العليق في تمر العريش احكم بعدلك اي قلبٍ كان غاش
جاوب القلاّب ما لازم يعيش نسبة وجوده بالدني مثل البلاش

* • *

ما هو خواجا كل من باع القماش ولا كل من رام الهوى ليهِاهتدى
ولا كل من رام الهوى فيه اشترك حبل الموده ليس يقبل اشتراك

* • *

خنتني وعملت مع حبي شريك وبعت من بالروح والغالي اشتراك
يوم القيامه ما تجاوب لأبيك حين بفتح دفتره وبينهرك
عندهـا رعبه قويه بتعتريك بصطك جسمك والعواطف في عراك

لا تفتكر يا صاحبي انه نسيك   عن شماله يوقفك لما يراك

* . *

ويقول ماعادلك خلاص من الشرك   هذا جزا من خان حبه واعتدى
هذا جزا من خان عهد الاتفاق   قوم يا جبريل شد لو الوثاق

* . *

هذا الذي بالحب هاضم للحق   مسكين خصمه كان حقه ينسرق
ياما وياما كان في عهده يبوق   وكان يجذب بالحديث اي من مرق
كانت عيوني تمر ما بين الشقوق   وتنظره ما بين ضم واعتناق
في وقتها ناديت ربي يا شفوق   ارفق به من الجهل حتى يكون فاق

* . *

ربي تنازل من مراحمه وراق   قال الرجا مقبول منك الى غدا
قال الرجا مقبول منك للصباح   وناخذ كفالة عليه لاجل الاصطلاح

* . *

ان كان يثبت بالمحبه من صحيح   ويمشي طريق المستقيمه في صلاح
تترك له الزلات والفعل القبيح   وينال عما قد مضى منا السماح
هذا اذا ما جاء منا يستميح   حتى ينال المغفره وما راح راح
عيني عليكم ساهره ما تستريح   حتى ترى من ذا الذي بالسر باح

* . *

كي اجعله في نار حمرا لا براح   منها على طول الزمان مؤبدا

أهلي

وقال صاحب الديوان يخاطب نسيبه المرحوم خطار ايوب

اهل الذكا ارغب رغايبها وكل عمري قيم بواجبها
اصبر عَلَيَّ منصور يا خطار لتلعب الخمره بشاربها
" " " " لتلعب الخمره وتتخطر
وبعدها اطلب كما تختار تاخذ معاني انت طالبها
تاخذ معاني انت راضيها وموقعه باسم ماضيها
اهلي وان سلت مواضيها نذراً عليَّ ما بحاربها

وقال متغزلاً

سنة ١٨٦٨

مدوم حياتي تحت اخطار الوقوع من دموعي ومن لغلى نار الضلوع
لو من دموعي كان احرقني اللهيب لولا لهيبي لاحترقت من الدموع
لو من دموعي كان احرقني اللهيب
ولولا اللهيب في العيش ما كان لي نصيب
خصمين كان وجودهم من دون ريب واقي حياتي ما عليها من القطوع
واقي حياتي ما عليها من الخطر ان هبت النيران ينهل المطر

رما يكون هذا علَى بالي خطر — كنت محروم الكرى وذوق الهجوع
كنت محروم الكرى وطيب الرقاد — تحت الدجى ما زال احبابك بعاد

* • *

هكذا بتكون اعمالي اكيد — نوح وبكا وتنهيد ما طال الامد
هذا عليَّ حتم والمولى شهيد — من بعدهم ما اكتسي غير الحداد
ررت فكري هكذا وماعدت احيد — ولو عذولي قال لي ما تستفاد
اديتهُ يا صاح قف عني بعيد — لا تقترب ناري تزيد الانقاد
عني انا وشأني لاعمل ما اريد — يجزيك عني خير خلاق العباد
نهدت نهدي كادت الدنيا تميد — اضرمت نيران حمرا في الفؤاد

* • *

حالاً دموعي مثل زخات البرد — نزلت غزيره وارتوت منها الربوع
زلت غزيره وكل ما حولي ارتوى — واستنشق الوهجان نسمات الهوا
ن فاض دمعي تستعر نار الجوى — وتلتهم ما زاد اجفاني هموع

وقال في الحماسة بديهياً

عمري مضى في صبوتي كون وجهاد — مالي نديم الا سلاحي والجواد
محي جليسي عند كاسات الصفا — وسيفي انيسي في فراشي بالرقاد
وسيفي انيسي وحافظ عهود الوفا

ان هززته بساعدي قلبي شفا — وهد ركن الخصم في وقت الطراد
وهدّ ركن الخصم في يوم الوغى — يدعي حجار الارض خلفي مصبغا
اما عَلَى مخلوق ظلماً ما بغى — ما لم يرَ من الخصم احقاد وعناد
ما لم يرَ من الخصم جوراً وافترا — ينزل عليه ويسكنه تحت الثرى
وسنان رمحي بالدجى نوره سرى — شاعل كما المقباس وينير البلاد
شاعل كما المقباس وينير الفضا — وحكمهُ الاعدام جازته القضا
مهري عَلَى الاعداء ينزل كالقضا — وتقدح شرار حوافره مثل الزناد
وتقدح شرار ونار حمرا محرقه — وينقضّ تحتي كانقضاض الصاعقه
يعلك حديد اللجم مثل المطرقه — في صوت مرعب لوسمعه الطود ماد
في صوت مرعب لوسمعه الطود زاح — وخلفهُ يبقى الغبار مثل الوشاح
يحجب شعاع الشمس ويسد البطاح — وينزل الارواح في سوق الكساد
ارواح تبقى تحت صفوة خاطري — دلالها مهري وسيفي المشتري
وقمت اسمي فوق هام المشتري — حتى به يتحدثوا في كل ناد

وقال ايضاً في الجلسة نفسها

مين غيري للقليعه جابها — اذا المنيه كشرت عن نابها
لما تصير سمر الذوابل تلتوي — والبيض تضحك في وجوه صحابها
لما تصير سمر الذوابل تلتوي — والارض من دم الفوارس ترتوي

والجبان يفرّ من وجه القوي والعذارى دالعات نقابها
والعذارى راخيات ستارها باسمي تنادي ومين غيري جارها
سيفي لمع بالافق شق غبارها حتى ارتوت من حدهِ اعشابها
من حدهِ اعشابها حتى ارتوت انعشتها بعد ما كانت لوت
لوالجن في شكل البشر نحوي هوت قاومتها حتى تكل اعصابها

وقال

لي راس فوق النجم عالدنيا ارتفع وقلب صامد ما عرف طعم الفزع
لا تقولوا الشيب غيّر همتي لولا يباض السيف حدُّه ما قطع
. . . . يا ما نفوس معلقه في ذمتي
يشهدوا لي امتك مع امتي لما يصير الدم خلجان ونقع

في جلسةٍ حضرها صاحب الديوان متأخراً اخذ يعاتبهم بقوله :

لو انكم كنتوا دعيتونا ما تحملوا بواريدنا عنا

فاجابه نسيبه الخواجا خطار نجم الغريّب قائلاً :

ما احد عليك متعدّي وما في لزوم لكلّ هالحدّه
كم الف مره سامعك بتقول ما عدت من نقالة العدّه

مما قاله صاحب الديوان في دار نسيبه المرحوم الياس هيكل الغريّب.

هلّي قصد بالسيف حتى يخشها دمه طرش ياعم عا برطاشها

باب المراسلات

منذ مدة طويلة جداً قبل طبع هذا الديوان جرت مراسلة ادبية بين صاحب الديوان وبين القوال المشهور في الشويفات الخواجامنصور صافي انما عَلَى رغم كثرة التفتيش والتنقيب في الدامور والشويفات معاً وفي جميع الاماكن لم نتمكن من العثور عَلَى غير اربعة مطالع يحفظها صاحب الديوان في ذهنه وكلها من قوله . اما ما بقي منها والاجوبة عليها فقدعبث به لسوء الحظ طول الزمان وكرور الايام فنضطر الى إثبات ما بقي منها وها هو :

الجواب الاول

كان الريح ساكن في افقها   والاشجار وقفت للخلقها
الا وانفتح قطب الشمالي   هزّ غصونها وزقف ورقها
" " " "   عليّ مرّ ويدّو ومالي
حياً ولا نميقتكم رمالي   قال لي جيب خلك من نسقها
قال لي جيب خلك عالقوافي   ما بدها خديعه لا تقافي

.

فضضت الختم لانظر كيف ناصص   وجدت القول ممزوج بلطافه
وتأملت فيه وصرت شاخص   برهه من الزمان وقلت كافي

لكن مـا عرفنا مين خاصص — حتى نحن للمنى نوافي
قلبته وعدت في امضاه باصص — رايته صافياً من بحر صافي
من كثر الفرح فزّيت راقص — خصري مال واهتزّت كتافي
عشيري حار مني وصار فاحص — عني وعن مفاعيلي ينافي

**

فقلت له قتيل الحب هافي — حبيبي سهام في صدري رشقها
حبيبي سهام الى صدري رسلها — وهذا اوجب فكاري خللها

**

غض الطرف فيّ لا تعازل — ومن مثلك فعالي ما جهلها
وخبر كل ارباب المنازل — بحسن تعقلي توطد املها
انا لو كنت لاجله الروح باذل — ما وافيت افعالاً فعلهـا
رمى لي حمل عجّز كل نازل — ونيّخ نافته عني وعقلها
انا يا حلو حالف لا انازل — حيث الهم افكاري قفلها
قلبي هم قال لي بروح نازل — اذا افكارك بقي زايد كسلها

**

صح القلب اوطانك دخلها — اما الجسم ارضك مـا طرقها
اما الجسم باقي في مقامه — وشخصك خايله واقف امامه

**

انا يا حلو اليك الجسم هادي — بشرط يكون محفوظ(١) من خصامه
تركت له الارادي بشكل عادي — كمن هاموا ليسرح في هيامه
مديحك لي كما الصايح بوادي — مهما قال يرجع له كلامه
بذا الميدان انا قصَّر جوادي — زحت السرج ورخيت له لجامه
ما عاد لي اطاقه في انتقادي — عَلَى « شيقا وميقا واللهامو »(٢)
ولكن مـا النتيجة من عنادي — اذا المحبوب صوَّب لي سهامه
فيا ريح الشمال وانت غادي — تذكَّر من تركته في الامه
كما تكلفت انت من المبادي — كلف خاطرك أرجع سلامه

* . *

لمـا تطلّ وتلوح لك علامه — نكس رايتك واطلق فرقها

(١) هنا تورية لطيفة باسم القوال الشهير في الشويفات الخواجا محفوظ شقير
(٢) كلمات واردة في قول خصمه عَلَى ما يظهر

الجواب الثاني

رسولك زاد افكاري عجبها　　لا من عجمها ولا من عربها
اسمه كبير لكن جسم ما له　　وسيع الارض في خفه نهبها
. . . . .　　سريع السير لو ثقلت حماله
جميع الارض تشهد في فعاله　　ما في موقعه ليكون سببها
ما في موقعه ولا في وقيعه　　حتى يكون قيدوم الطليعه
له سلطه علَى قلب الطبيعه　　مفاتيح الفتن يده قضبها
مفاتيح الفتن حاضر وماضي　　جلّ الخالقه في فكر فاضي

・

اتاني وقال جئتك في جوابك　　اسرع في الجواب و كون راضي
فقلت له هلا تفضل جنابك　　رسول حبايبي يشفي مراضي
قال لي قوم عجّل في كتابك　　بدي روح انا اقضي غراضي
فقلت له عجب ما اثقل اجابك　　كانك بلطجي والسيف ماضي
ولو رمنا بان نحسب حسابك　　لاشهرنا الاسنة والمواضي
كرامة باعتينك نستهابك　　ومعنا يصير عن فعلك تغاضي
حتى نشوف ما مرسل صحابك　　وانت نوقفك مفتي وقاضي
وقف وقال محسوبك اجابك　　ومن لطفه رضي في اعتراضي

・

فتحت كتابكم اضوى الاراضي   جار الدار زادت في طربها
بجار الدار في رهجه عظيمه   نوت من صوبكم نيه سليمه

* . *

انا باشرت انظم في كتابي   وافكاري لنحوك مستقيمه
عرفت رفقتي وعرفت صحابي   عبد وسيد والحره الكريمه
قال الكل احك ولا تغابي   اتاك كتاب بمعاني رخيمه
قلت تأملوا ما قد جرى بي   جروح الخاتمه اضحت اليمه
وحيث لكم شراكه في مصابي   تعالوا شاركوني في الغنيمه
اخذت اشرح لهم ما فيه خابي   وقلت القول خالي من النميمه
ايا منصور قالوا لا تحابي   وهل تخفى قوافيه السقيمه
ما كانت « عطفها » في حسابي   وعنها ما حكت كتب القديمه

* . *

قالوا انها لفظه ذميه   ولد قحطان يعرب ما عربها

* . *   (الباقي مفقود)

الجواب الثالث

رسول الريح اوطاني ساكها　　بليله مظلمه زايد حلكها
وقال جيت بمعاني رقيقه　　تهزّ الارض وتزعزع فلكها
وقال جيت بمعاني رقيقه　　تهز الارض وترجّ لخليقه

* • *

تناولت الكتاب بشوق نامي　　فضضت الختم وقرأت النميقه
فهيج حسن تركيبه غرامي　　عجبني بعكس انفاس العقيقه
ولو كان صاحبي ذا السهم رامي　　راضي ولو رمى نفسي بضيقه
بلا برهان صار واضح امامي　　بأنّ أمتدت عليّ الحريقه
فتحّت المنافذ والمرامي　　وصار الاخ يصرخ ياشقيقه
بهتّ وصرت واقف في مقامي　　من الالفاظ حصّلت الحقيقه
بهاء وياء زايد في ملامي　　ثلاث كلمات واضح في الدقيقه
عليّ زادت «سميّه» سقامي　　«وفيّه» خلّت جروحي عميقه «١»

* • *

ومن قال الذكا ما له وثيقه　　تصوّب صوبه صحابه سنكها
تصوّب صوبه صحابه نبلها　　تهزّ الارض ساحلها وجبلها

* • *

(١) سميه وفيه واردة في كلام منصور صافي مكان سميّ وفي

ويوقف كل شخص كان ماشي وترتج القبايل في حللها
ومن للناس يحييها ويلاشي عَلَى الرعيان آياته نزلها
عنتر عبس ما كان يوزباشي حبيب عبيلة راعي ابلها
ياما في هواها فنون ناشي وناشد بوشها وواصف جملها
معاني قيس بتزيد انتعاشي راعي بوش لفظه ماشكلها
ومن يفهم كلامه يعود غاشي تراب الارض بدموعه جبلها

* • *

تحت الشمس للدنيا شملها ما ميز ولا فرقه تركها
ما ميز احد لا شخص تارك عَلَى آدم ونسل ادم مبارك

* • *

عَلَى هالارض احيانا وتركنا فريسه للمنايا وللمعارك
مال الارض اذا نحن امتلكنا راعي البوش ما نرضى نشارك
سبحان الذي فيه شركنا ليكون مثلنا في العقل دارك
كتاب البدء لو منك مسكنا بهِ غلطات تسحق المدارك
لو رمنا قوافيه هتكنا جملنا حملها واقع وبارك
عَلَى منهج معانيهِ سلكنا بضاعه ليس تحرز الجمارك

* • *

« اهاني » نوّحي ذبلت قمارك وآفاتك عَلَى المتي دركها

وآفاتك خليلك ليس ناسي ولفظة «قافته» بتهز راسي

* . *

انا تقلقت بعد ان كنت راقد وصار الجرح يقطر في حواسي
وفي قلبي شعل نار ومواقد عَلَى الناقد «ولو» منقار قاسي(١)
خدعته ما عرف اي شيء ناقد ولا اوضحت عن مبدا سراسي
ثقيل الراس لا للعقل فاقد اثقل من جبل راسخ وراسي
لهُ مدوم لواء النصر عاقد وبقهر فيه شخصاً قال راسي
ولو انه عليكم كان حاقد لدكّ جبالها وهزّ الرواسي

* . *

ومن الها اخوك ياما مقاسي الاف الزايده يدّه فركها
الاف الزايده يدّه محاها بلاها كان احسن من بلاها
لو محفوظ طالعها وتلاها حذفها كان ام عنك فركها
فركها وحذف عنه ما تخبأ وقوله عن مفاعيله تنبأ
اخي لا تقول ناقضنا الاحبأ جنازير الوفا زدنا سككها

---

(١) كلمة «ولو» هنا غلطة كتابية صوابها «لهُ» وسيجيء الكلام عليها في المطلع الرابع لانها احدثت جدالاً بين الفريقين عَلَى ما يظهر · وقد ابقينا كل شيء عَلَى اصله

الجواب الرابع

رسولك زار اوطاني ووصلها — وعند وصوله الخفرا احتفلها
وقف محشوم مكتوف السواعد — طأطأ راسه لما دخلها
وقف محشوم مكتوف السواعد — وفي حفظ السنن عنده قواعد
سألته عنكمُ وبقيت قاعد — رفع راسه وقال زايد زعلها
رفع رأسه وقال خلك مكدر — وظاهر لومه في كل مصدر

* • *

وبعده قام في لطف وعياقه — وابدى كتاب منضخ بعنبر
من يده اخذته دون عاقه — كي انظر بما فيه تسطر
فضضت الختم في خفه ورشاقه — قرأته كدت من معناه اسكر
صبري كلّ ما عاد لي اطاقه — ناديت القلم بالحال يحضر
اتاني وقال لا يلزم حماقه — من التغليط والتعقيد احذر
يراعي يحب تمكين العلاقه — وليس بقابل في حرف يعثر
والموضوع يستلزم حذاقه — لانه صعب يجبر ما تكسر
اطعته وقلت اكتب في لباقه — وخذ مني معاني فنّ تذكر

* • *

معاني مثل نظم الدر نثر — لا شاعر ولا ناقل نقلها

لا شاعر ولا ناثر نثرها   خلاصة كل الطاف حصرها

٠

ولكن خال في فكري معاني   يراعي ما رضي يطفي خبرها
« دركها » ما عثر فيها لساني   ومن كان ذو فصاحة ما نكرها
يراجعها وينظر كيف عاني   عَلَى المفتي انا مدركْ ضررها
وكلمة «لو» عليها كثير باني   غلط ممن كتبها وما اختصرها
« له » قلنا كتبها شكل ثاني   طلع تفسيرها علينا خطرهـا
بحرف الباء تنكيتك كواني   واحوجني لان الحق أثرها
من « بحكي » انا صمَّتْ اذاني   حيث الشاعر الماهر كسرها
«وبشهد» طيرت عقلي وجناني   قاري لا سمعها ولا نظرها

٠

شاعر بدوها وشاعر حضرها   الف فعل المضارع ما بدلها
الف فعل المضارع ما حذفها   ولا في الباء عوض عن الفها

٠

ايا حاذق وجد كلمه سخيفه   شاعر قبل منّك ما صرفها
تأمل همزة الوصل الضعيفه   صار الوزن متعب من كلفها
«المرتب» اول المصرع نحيفه   ألفها راقم الاسطر الفها
من كونك نقدت الوظيفه   ما هي جايزه تخفض شرفها

اذا اتقنتها اضحت شريفه والا لا تهنها ولا تصفها
ولو افتى عليها بوحنيفه «تدق الطبل وتزلغط عطفها»

** • **

لقلتِ موء كد القاضي صرفها او فكره سها عنها وجهلها
او فكره سها ياصاح عنها اومنك ارتشى وخالف سنها

** • **

ماتت ما بقى ينفع دواها اليق صار يسترها كفنها
معاني النظم من مثلك رواها ونقحها وهذبها ووزنها
ومن كتبِ اللغه فكره حواها خايض بحرها وسابر مينها
«وشاوى» من نشرها ومن طواها واي قاموس في طيه دفنها
كاني فيك واقع في هواها صغير السن راضع من لبنها
رافع اسمها وناشر لواها ومن كتب اللغه ضايع رسنها

** • **

بعيدة ياعشيري عن وطنها من جوّز بذا المعنى عملها
من جوّز عملها وليس حاسب فوق الرف ما حط المكاتب
«حجى ارصع» تصاقب ما تناسب هل من شاعرٍ يعرب جملها
هل من شاعر بالفن ماهر يكشف للبواطن والظواهر

** • **

ويخبرنا بها ما انت قاصد　　ويظهر ما يجد فيها جواهر
اضاع هجاك رصدك للمراصد　　برصعٍ ما ظهر للناس باهر
ظلام الليل خيب للمقاصد　　وضعت الرصع موضع غير ظاهر
فصرت الان مثل الزرع حاصد　　وكان الشوك من تحت الازاهر
ومن كان لاولادالفن راصد　　ضروري يكون متقيظ وساهر
بسكين الجفا جارح وفاصد　　خليلاً قلبه في الحب طاهر

* ٠ *

ولو رمنا بعد وانك نجاهر　　شروط الحب تمنعنا دولها
شروط الحب تقضي بالعلايق　　ان يبقى اليها القلب تايق
ونظمي فوق كل النظم فايق　　وذايع في سواحلها وجبلها
ذايع في جبلها والسواحل　　وقدشهدت به العلما الفطاحل
ولفظي يطرب البطل الحلاحل　　وتهتز القبايل في حللها
وتهتز القبايل والعشاير　　بنظمٍ ذكره في الارض ساير
باقوالي يغرد كل طائر　　ويضرب في معانيها مثلها

بين الدامور و كفرمتى

دعي مرةً صاحب الديوان الى الشويفات لحضور حفلة فرح فحالت بعض الظروف دون ذهابه . وقد ذهب اليها القوال الشهير الشيخ ملحم يوسف الذيب من كفرمتى لبنان وكانت هناك مناقشاتٌ مهمة بين اولاد الذكا . ولما انتهى الامر وتفرق القوم ارسل صاحب الديوان الى الشيخ ملحم المكنى باسم «ابو فندي» يسأله عما جرى بينه وبين القوالين في تلك المعركة الادبية . وحدثت عند ذلك هذه المراسلة المعدودة من اهم ما قيل في فنّ المعنىّ على الاطلاق . ومن محاسن الحظ انها حفظت بتمامها خطابات وجوابات وحفظ ايضاً ما تفرع عنها من المراسلات المجانبة بين صاحب الديوان والخواجا منصور صافي قوال الشويفات وبين الشيخ ملحم يوسف والشيخ اسعد سعيد ظاهر القوال الشويفاتي ايضاً

وهذا كان خطاب صاحب الديوان في بدء المراسلة التي جرت اياتها مجرى الامثال بحسن سبكها وطلاوة اسلوبها من الجانبين

كنت في بحر الفكر متقلبا   من عظم وجدي شفت حالي كالهبا
الا وهزتني رياح الاشتياق   ذكرتني انس ايام الصبا
الا وهزتني رياح الاشتياق   ذكرتني انس ايامي العتاق
هام قلبي وللقا الخلان تاق   من ساعتي هميت حتى اكتبا

من ساعتي هميت ومسكت القلم　　حتى اخفف ما بقلبي من الألم
نبهت فكري بالعجل ربي حلم　　وبدبت ارصع سيف عزمي مانبا
وبدبت ارصع مابدا في خاطري　　وقلت ياجروحي القديمه اخطري
للشيخ ابوفندي مكلف خاطري　　ياخذ خطابي برفق نفحات الصبا
ياخذ خطاب ويجيب جواب وقت الرجوع
حتى يطفي نار تضرم في الضلوع

* · *

من حيث نار الشوق في قلبي نمت　　من نهيدي نقلقت كل الربوع
ما لم تشوف سطور منكم حرمت　　عيني عَلَى اجفانها ذوق الهجوع
والنفس تاقت والقريحه تكلمت　　والعين تبكي والجفون تذرف دموع
هذا الصحيح كل الحواس تألمت　　من توانينا معاً في ذا الشروع
النفس عنكم كل يوم استعلمت　　زادت بها شوقاً احاديث الجموع
من نحونا حبال البعاد تصرمت　　طأطأت راسي للمحبة في خضوع

* · *

صار فلك الحب منشور القلوع　　يمخر عباب البحر يكشف ما اختبا
يمخر عباب البحر في جنح الظلام　　قصده افتتاح ابواب قافلها ظلم

* · *

وعندما مينا بلدكم يقترب　　يرفع اشاره راية البيضا علام
مع واحد وعشرين مدفع تنضرب　　منهُ لكم رسم التحية والسلام

وبعد الجواب يدخل حماكم في طرب ويستلم منكم كما منا استلم
ولما يفوز بالقصد وينال الارب ظني ان صدق يبقى له معكم كلام
عما توقع بين فرسان العرب منكم يروم تفصيلها بروس القلام
من تقدم من في الهيجا هرب من خطا سهمه ومن صاب العلام

* . *

سمعنا بوقعه شيبت راس الغلام والغرب(١) منها كان مرتج الربى
والغرب منها كان مرتج البطاح من كثر صلصلة الاسنة والصفاح

* . *

نحن استمعنا باختلاف اخبارها اما الحقيقة ما احد عنها شرح
نرجو الافادة من شدّ جبارها ومن ذا الذي يوم الكريهة مانجح
لما حدا الحادي وعجّ غبارها وانجلت بيض الصوارم والرماح
لنا الامل لا تمنعوا استخبارها كونتنا نهتمّ في امر الكفاح
وحياة خلاق الورى وجبّارها ربي الذي في امره تجري الرياح
ان كان تعدى عليك كبير كبارها قصدته عاري الجسد خالي السلاح

* . *

وجعلت في بيته النوادب والنواح وفرّقت قومه في الربى ايدي سبا

---

(١) في قضاء الشوف ثلاث مديريات متتاخمة بهذا الاسم الغرب الاقصى والغرب الاعلى والغرب الشمالي

جواب الشيخ ملحم يوسف

طالما قاسيت من جور البعاد والنار تضرم في الفواد وقودها
الا ونميقه من وليفي شرّفت تنثر علينا من الرياض ورودها
الا ونميقه من وليفي شرّفت من نظم منصور الفعال تخلفت
آذاننا في كل معنى تشنفت اول بزوغ الشمس كان ورودها
اول بزوغ الشمس كان قدومها قد خلت من شاعر عكاظ علومها
عن فكر ثاقب اصلها ورسومها قصة جرير وزهير فاق وجودها
قصة جرير وزهير فاقتها فنون هيجتني وثار في راسي جنون
فيها مكلف خاطره الاخ الحنون هادي معه جيوش العلوم وجنودها
هادي برفقه كل درّه منضده متلألئه بالنور خالي من الصدي

.

من بعدما توسمت في الوانها شفتها في كل معنى مشيده
غنت جهابذة الورى الحانها وخرت لها كل البرايا ساجده
غالي ثمنها وراجحه اوزانها فخراً لنفسي حيث نالتها يدي
اهل اللياقه والمكارم شأنها تهدي وينتج من كرمها فايده

.

مني لكم شكراً جزيلاً سيدي طوبى لام ٍ شخصكم مولودها

طوبى لام بعد منها تخلفوا ابطال مثلك في الوغى يتنوفوا

.

كنا بذكرك والثنا عنك يفوح كلوا اللسن عن ربع وصفك ماوفوا
الا وجدنا راية البيضا تلوح عن فلك ماخر بحر حبك يردفوا
جالبين اخشابه من فلك نوح لملتقاه اهل المحبه ولفوا
احنوا الرؤوس من وصلته اول فتوح في كل رقه واختضاع تكتفوا
ادوا الجواب في الحال كالمهر الجموح واسرعوا بتفنيد في ما تشرفوا

.

اول وصولي للديار تكاثفوا محفوظ قدم للمخاضه يرودها
محفوظ اول من فتح سوق الطراد مقصده يوصل الى نيل المراد

.

ما حس حتى شاف حاله في بلا والحق ليثاً ضيغماً لا ينطرد
صار الذي قد صار والحق انجلى وكل منا لم حاله وانفرد
وثاني نهار صار فيه ياما حلا عباس جانا وعزوته شبه الجراد
جاولتهم بالكون خيال الخلا راحوا هزيمه عالقفا كرجة صرد
صادمتهم من فوق ظهر مهلهلا شايل سنان الرمح عاري من الزرد

.

حملتهم عالكدش ازواج وفرد وبصاري للغرب جزت حدودها

جزنها في سن رمحي وصارمي   وقعه مشومه عالاعادي وصارمه

.

من بعد ذلك جمعوا اهل الكمال   وحضروا من كل ليث ضيغم
منصور صافي خش في سوق المجال   قبل التحية بان منه مخاصمه
صادمته صدمه تزعزع للجبال   وسقيتهُ كاسات صبر وعلقم
في آخر المضمار قصر في القتال   لما سمع مني الندا يامعلمي
صاحت ارفاقي براڤو يا بطل   تبقى لنا ايام سعدك دايمه
منصور من عظم البلايا انفشل   وصار واقف مثل قعقور الحمي

.

ما بجيد لو شفت القيامه قايمه   ولو وقفت الدنيا عَلَى عامودها
لو قامت الدنيا عَلَى ساق وقدم   في همتك يوم الوغى لا أُنصدم
انت المؤسس هالبنا لا ينهدم   يوم المعامع والفعال شهودها

(تنبيه — هذان المطلعان الخطاب والجواب ذهبت اخبارهما وبالتالي نسخة حرفية منهما الى الشويفات فقامت بسببهما مراسلة عتابية بين الخواجا منصور صافي وصاحب الديوان من جهة . وبين الشيخ اسعد سعيد ضاهر والشيخ ملحم يوسف من جهة ثانية . ولكيلا نقطع سلسلة المراسلة الحاضرة نبقي المراسلتين المتفرعتين عنها الى ما بعد الانتهاء منها)

جواب صاحب الديوان

فلك الوداد ابحر صدودك طافها ... شاحن تجاره يشتهي استقطافها
ما غاب حتى عاد منشور الشراع ... يمدح ويثني عن محاسن شافها
ما غاب حتى عاد منشور الشراع ... يمدح ويثني في محاسنكم شرع
ان رام يمدح همتك رب اليراع ... يعجز ولا يقدر علىَ اوصافها
يعجز ولا يقدر علىَ تتميم ما ... عندك من الهمه العليه كلما
صاحت بنات الحي جوات الحمى ... ترجو الحمى من مبتغي اتلافها
ترجوا الحمى من مبتغي الاتلاف في ... همة ابوفندي حلا ذكره بفي
بعد السموأل ما وجد خلاً وفي ... مثلك ولو أن العزيزه عافها
مثلك ولو ان العزيزة لا تباع ... باعها ورأي النواكث ما تبع

.

ثابت يقيني وزادني تأكيد تام ... قبطان فلكي عندما فيك اجتمع
اندهش من حينما اعطى سلام ... وفي الاخص بوقتما آن الوداع
كنت مستنظر ارى منكم علام ... وتجول عيني كي ترى ذاك الشراع
الا وأتاني خف من فرخ النعام ... وعنبره مشحون درهم ما يسع
لما دخل مينا بلدنا في سلام ... ارخى البواطر والخبر في الحي شاع
نادى المنادي بصوت عالي يا كرام ... وافوا على المينا فذا الفلك ارتجع
غصت المينا وضاق الاتساع ... ورجال ترمي رجال في اكتافها

ورجال ترمي رجال من كثر العدد والأم ما تصغى الى صراخ الولد

* * *

والقصد حتى ينظروا ما قد اتى من عند ابوفندي لذا كلٌ قصد
ينهر رفيقه يقول هيا يافتى حتى نرى الشكل الذي منه ورد
وصاحوا التهاون يا اكارم لاي متى لا شك صنف جديد مرسل للبلد
نزلوا بقوارب في عدد قطر الشتا وتسابقوا مثل الضوامر في الطراد

* * *

صاحوا على القبطان جئنا في صدد فرجة بضاعه كي نرى اصنافها
فرجة بضاعه كي نرى تلوينهـا في اي معنى منتظم تغنينها

* * *

لما راى ان الاهالي فاحصه فتح صناديق البضاعه بعينهـا
منها ذهب منها جواهر خالصه منها دراهم رايجه بـفي حينها
تأملوهـا في لواحظ شاخصه قالوا بها ممـا بها يا حينها
قال الرئيس هذي هدايا مخصصه مـا بها اشيا مخله تشينها
قالوا له موجود عمله ناقصه ان كنت لا تؤمن نظرنا زينها
رب السما يدعي حياته منغصه كل من رام المحبه يهينها

* * *

في كل معنى قاصدين تمكينها ما للعواذل رايه ايقافها

ما للعواذل رايه اسلابها	من بعد ما شدت وتد اطنابها

* . *

صاحت شروط الحب ماهذا العمل	اسلوا الضغينه واقفلوا ابوابها
قلب الذي من صبوته ما فيه عمل	كثرة اقاويل البشر ما هابها
أما سمعتم عند ما مال وحمل	عَلَى الاعادي كيف كان مصابها
عاري الجسد خيّب طمعهم والامل	وما رجع حتى القليعه جابها

* . *

في الغرب صارت موقعه سمعنا بها	لما الشويفات كاتبت احلافها
لما الشويفات كاتبت والغرب هاج	من ازدحام خيولهم ضاق الفجاج

* . *

وكل من منهم ينادي ذا انا	ذاك الذي في سيفه حسن الفرج
عند ما وصلوا الى محل العنا	إنفتح سوق المعامع في رواج
وقفوا صفوف صفوف واهتز القنا	والحق بان ونور مصباحه انبلج
مال ابو فندي عليهم وانثنى	شتت عساكر قومهم راحت أهجاج

* . *

صارت جثث قتلاهم مثل النعاج	تنهش وحوش البرّ من اجيافها

* . *

جواب الشيخ ملحم يوسف

بينما بحر المجه في رواق | الا تكاثر حزره ومدّه دفق
بديت وكد في عيون مدققه | شفت آني فلك بقلوع رفاق
. . . . . | شفت آني فلك فيه محققه
ماخر عباب البحر مثل الصاعقه | في ثانيه ابواب مينانا طرق
في ثانيه ابواب مينانا استكن | حالاً فتحناه وشفنا ما شحن
بضاعه جديده حايزة اغلى ثمن | وارده من خير صحبي والرفاق
وارده من صاحبي ذاك الامين | رازم وخاتم ماركتها بوأمين (١)

* • *

منصور يا مشهور في حسن الوفا | يا قيس ذو الجدين بين العالمين
لك صيت مثل المسك اشهر من قفا | نبك قصيدة امرىء القيس الفطين
من حينما فلكك لنى وقتي صفا | حيث ان بضاعته علمٌ مبين
فاضت معانيها كما نهر الصفا | فيها جواهر خالصه ودرٌ ثمين
لو رآها النابغة رام العفا | بأمثالها حتى ابن ابي سلمى ضنين
وعمرو ابن كلثوم شره ينكفى | يخضع لناظمها ويصبح في انين

* • *

ويصبح ابن العبد من قلب حزين | هذي معاني ما حوت مثلا وراق

---

(١) اشارة الى صاحب هذا الديوان

هذي معاني ما حوت مثلا طروس ‏ اشرقت انوارها مثل الشموس

.

مع ان هذه الشمس غاشيها غيوم ‏ لكن بساطع نورها تحيي النفوس
منها غدا محروق ميم فم الهموم ‏ لكنها في حسنها بكر عروس
قطر الشتا ما يعود له يظهر رسوم ‏ ان كانت قوارب في عدده كيف تدوس
منصور حويت الفن مع كل العلوم ‏ ارجوك ان تفحص موازين الفلوس
اياك تسلم فحص درٍّ للعموم ‏ ان الاجانب سببوا حرب البسوس
نحن نرغب بيننا الالفه تدوم ‏ لا يخامرها كدار ولا نحوس

.

كل فلكٍ يكثروا فيه الرؤوس ‏ لا امان عليه من شرّ الغرق
لا امان عليه في لجّ البحور ‏ وتنبدل اوقات سروره في شرور

.

كاس المحبه بيننا لا ينعكر ‏ فالاجانب لا يروحوا بالغرور
قلبي مولع فيك والمولى خبير ‏ لا يغير عزمه كرور الدهور
من مقال الناس قطاب محتذر ‏ عندي امانه رامخه طيّ الصدور
بحسن الوداد والعهد حقاً افتخر ‏ دولاب فسخ العهد عندي لا يدور
في صحابي كل وقتٍ افتكر ‏ ان كنتَ في ضيق الخناق ام في سرور
باسمك انادي كل وقعه وانتصر ‏ هذا جعل مبداي اقوى من الصخور

.

طيف الاخلا بالمنام عيني يزور — وفي يقظتي اتذكر صحابي العتاق
وفي يقظتي ذكر الاخلا ما خلي — من بالنا والحق لازم ينجلي

* * *

ما كان ظني نفتحوا الناس باب — كي يدخلوا والبيت منهم يمتلي
قول المعنى من النحو لا ينطلب — وان كان عَلَيَّ هالحال يا ليلى انخلي
من وقتما قرينا سوا فصل الخطاب — كتاب الحريري عندنا رث وبلي
حيث المعنى ما تنزّل في كتاب — ولا كان في القاموس والشرح الجلي
ولا حوت القاظه خزانه ادب — بل اصطلاح عليه كان معوّلي
من يبتغي ما بيننا وقوع السبب — لا بدّ تجمعنا به ساحة علي

* * *

وبهمتك من فوق ابجر اعتلي — وبحد سيفك اقطع صفاف الدرق

جواب صاحب الديوان

يا للعجب بحر المحبه كيف طاف — من بعد جزره مدّ واشتد ولقف
وبعكس ذلك عند خلك في سكون — صافي ونافي كل ما يسبب خلاف
وبعكس ذلك عند خلك في سكون — صافي ونافي كل ما يسبب غبون
في العجل ناديت يا ربي تكون — حافظاً فلك المحبه من التلف
حافظاً فلك المحبه والوداد — يا بارئ الكونين يا محيي العباد
ما انتهيت من الدعا في ذا الصدد — حتى ظهر فلك المحبه وانكشف
حتى ظهر فلك المحبه للعيان — رافع اشاره راية البيضا امان

* * *

لما دخل بوغاز مرفانا وربط — حط اليواطر سالماً والصعب هان
قلت للقبطان انا فكري اختبط — اسرع بما اوتي معك من دون توان
من ساعته القبطان اسرع ما انغبط — قدم هديه لا يوازيها ثمن
من حينما فضيتها قلبي انبسط — عند التأمل في معانيها الحسان
قلت الفرزدق ما سرى في ذا النمط — وان قصد حسان يثنيها لحن
قسّ ابن ساعدة الذي للفن حاط — وعبيد إبن الابرص العالي المكان
عند نظمك شاعر الدنيا سقط — وفي معانيك ارتقى علم الزمان

* * *

والمرء لا يعرف سوى بالامتحان — والسيف لا يقطع وهو ضمن الغلاف

والسيف لايقطع وهو ضمن القراب ولولا وجود البودقه غش الذهب

٠

لولا وجود ميزان بين العالمين كان القوي بقواه والحق انتهب
واجب علينا شكر فضل الاقدمين من يومنا حتى نوارى في التراب
الحق يحكي شغل ناس معلمين نافع ورافع كل ما فيه عتب
وبعد ذا رام الافاده بو أمين من اين شمس العصر غاشيها ضباب
حتى و يرجو حضرة الخل الامين عما حرق للميم مستنظر جواب(١)
كيف تعجب من قوارب عايمين في عدد قطر الشتا ومزن السحاب

٠

ان رمت بالنح فوقهم رمل المضاب يبقوا عَلَى ابحر مودتنا خفاف
يبقوا عَلَى ابحر مودتنا قلال بحر المحبه اتساعه منجهل

٠

ما شفت انا للمسئلة جنس اللزوم عملت معك في وزن مصر عها خلل(٢)
وفي ماجرى وما قد جرى عرفوا العموم وكل من منهم قصد يعمل علل
صاحوا وقالوا يا فتى منك نروم ان نستمع ما قد اتى من دون زعل
ابتدا منصور يشرح في رسوم اقوال ابو فندي عَلَى روس الملل
ما انتهى تعريبها حتى القروم قالوا صحايف من عمل هذا العمل

٠

---

(١) اشارة الى قوله « منها غدا محروق ميم فم الهموم »
(٢) اشارة الى قوله « ان كانت قوارب في عددهِ كيف ندوس »

لكن « غدا محروق ميم فم الهموم » هذي عليهم حل معناها اشتكل
قبطان فلك الحب ما يخشي الكلل في همتك كثر الزوابع ما يخاف
في همتك كثر الزوابع ردّها وما يختشي جزر البحور ومدها

**

وبعد هذا اوامرك ياصاحبي كلنا نخضع لها ونودها
هذه علينا واجبه وحق النبي مثل الفروض المنزله نعتدها
هذا صحيح ما في لزوم للاجنبي هذي المشارع صار واجب سدها
وان يكن هذا مضادد مشربي لكن اوامركم صعوبه صدها

**

وبديت في وزن القوافي ونقدها لا علينا ولا عليكم انحراف
لا علينا ولا عليكم ينغمض ان تحرف حرف واحد ينتقض

**

ماقد ذكرته عن خليلك ما اختفى ما للمعنى دخل في النحو وغرض
قول المعنى يا خليلي ينعفى من فاعل ومفعول به وبعض الخفض
اما القوافي لا يجوز نعطي قفا عنها اذا ما نالها بعض المرض
در « المنضد والصدا » ما تآلفا في قافيه الا على وجه العرض
والجمع بين « الفايده وبدي » انتفى كل هذا عليه ردّ واعتراض

سالت شيخ العلم عنها توقفا　　وطلبت منه كي يجوّزها رفض

.

جاوب وقال الياء لا تقبل عوض　　عن هاء لم يسمع به في ما سلف
عن هاء لم يقبل ولا في الكتب جاز　　ان قالها قوّال ينسب للعجز

.

اما الذي ما بيننا رام النفور　　لا يحرمه من يوم تبّع في حزاز
وحياة من لا غيرهُ ربٌ غفور　　الواحد الفرد الصمد ذو الاعتزاز
في همتك ادعي دما خصمي يفور　　ويفتضح ما بين فرسان الحجاز
ويزلغطوا لي كل ربات الخدور　　ان ضمني واياه ميدان البراز

.

هناك تنجلى الحقيقه وينفرز　　في سطوتك ابرّ النفيسّ من الصدف

جواب الشيخ ملحم

ما هاج بحر الحب والموج التطم | الا لاسباب بها خط القلم
اولاً اشواقنا للاجتماع | ثانياً حيث الملام برقه ولم
اولاً اشواقنا للاجتماع | ثانياً اشعر بارياح الملام
ثالثاً فلكك لفي نوره سطع | رابعاً حامل تحيات السلام
رابعاً حامل سلام من صاحبي | شقيق روحي جل قصدي ومطلبي
كلام تجبيلات ما هو مشربي | بل ما طواه القلب يظهر للانام
بل ما طواه القلب يظهر للبشر | كل مخفي ينكشف مهما استتر

***

تطلب افاده من خليلك ما حجب | شمس الضحى حتى علاها الاصفرار
راجع ودقق ما تسطر بالكتاب | توجد الفارض بها شذو كسر (١)
والقوارب في عدد قطر السحاب | تأمل بمعناها وكن بالاختبار
الجمع بين الفايده ويدي صواب | في المعنى ليس في نظم الشعار
بوحسين علي صالح اماماً ينحسب | افتى بها وضاهر (٢) ومخول الشكر

---

(١) يقصد بذلك قول خصمه « همة ابو فندي حلا ذكره بني » فان صاحب الديوان استعمل كلمة « بني » كما استعملها الفارض قبله اي « بفمي » فالشيخ ملحم هنا ينكر استعمالها على الاثنين معاً

(٢) ظاهر بولس . وهو من القوالين المشهورين

نحن سرنا دربهم دون ارتياب　　نظم القصايد في فكاري ما خطر

* . *

لو عرفنا دربهم فيها خطر　　كنا مشينا يا اخي طرق السلام
كنا مشينا طرق ارباب الفنون　　وقلنا المعنى ليت عمره مايكون

* . *

اما الذي ما بيننا رام الجفا　　لا بدْ يشرب من بدي كاس المنون
صارت لنا وقعات ما فيها خفا　　حقاً فكم اجرت مدامع من عيون
ايامنا في الحرب افراح وصفا　　وايامهم اكدار ونحوس وغبون
راعي المطهم من عرفني إكتفى　　وبصارمي اجري دماخصمي عيون
تزلغط لنا الزينات ويصيحوا عفا　　عاقل ويوم الحرب ياتينا جنون
مشهور يوم الروع ما اعطي قفا　　وبسطوتك صعب الامور عندي يهون

* . *

اعطي حقوق الناس لااحمل ديون　　كلٌ له استحقاق ما عنها كلام
كلٌ له استحقاق من عندي ينال　　حقه من دون حدف ولا مطال

* . *

من صفا لي الود ياخذني خليل　　يلقى خليلاً قلبه مثل الزلال
اعرف جميع معارفي عندي دليل　　صادق عليم ما ينطلي عليه المحال
منصور حيث لك عندنا حق الجميل　　ومخصوص من ربك بالطاف وكمال
اعتبارك عندنا ما هو قليل　　يشهد علَى ذلك الهي ذو الجلال

كون الكتابة ما شفت منا الغليل   فالاجتماع هذا طيبي لا محال
الاقدمين كانو يداوون العليل   في لقا احبابه ونعم العمل

* • *

هذا الدوا الشافي الى كل العلل   بالحقيقه انهم صابوا العلام

جواب صاحب الديوان

لما التطم بحر الهوى والريح هاج   خافت رجال الفنّ هول الارتجاج
فلك المحبه ما تزعزع حيث هو   خايض وسابر عمق اعماق اللجج
. . . . .   عنده عَلَى حدٍّ سوا مدّ وهدو
مهما تعاظم بحر حبك في العلو   من نحونا ما سدّ ابواب الفرج
من نحونا ما سدّ ابواب الامل   حيث المحبه سابقه هذا العمل

* • *

قلبي حلف ايمان عنّك ما يميل   عهد المحبه يوم واحد ما همل
كن انت مرتاح الضمير من ذا القبيل   شروط الموده لا يخامرها خلل
باعث تخبر في كتابك يانبيل   عن سبب بحر الهوى حتى حمل
من بنودٍ اربعه بان لي دليل   انها كانت له اقوى علل
اول وثاني شوق الى رؤيا الخليل   وثالث ورابع ما تنكت في الجمل
لم اكن اقصد به وربي الجليل   ذلاً ينالك لكن الداعي اجل
والله قصدنا صحة القول العليل   وصون لغتنا الشريفه من الزلل

شوقك بنسبة شوقنا نزر وقليل   وعهدنا في الحب ارسى من جبل
دوماً عَلَى هذا مدامعنا تسيل   غير اللقا ياصاح ما يشفي الغلل
قلبي وقلبك بينهم اهون سبيل   اسألك فؤادك عن فؤادي ما احتمل

* • *

اسأل اله العرش ديان الملل   ينعم علينا باللقا احسن علاج
ينعم علينا باللقا وربك حليم   لا يخيّب دعوة القلب السليم

* • *

لكن عهود الحب وشروط السلام   لا تمانع من معاتبة النديم
لمت « في » يعني فمي بئس الملام   هل انت تجهل صحة النهج القويم
غالطت شاعر عصرهِ ذاك الامام   وخالفت ما قد قيل في النص القديم
ان كنت تجهل لغة العرب الكرام   اسأل عليها كاتبك ذاك الفهيم (١)
والله تنكيتك عَلَى هذا حرام   مثل الذي يكفر بزمزم والحطيم
ان المعنى شعر موزون الكلام   جهل البشر خلاه ضد المستقيم
قصدي انا ارجاعه طبق المرام   او هجره اولى من القول السقيم
الجمع بين « الفايده وبدي » بذام   نعتاذ منها مثل ابليس الرجيم

* • *

بوحسين علي المفضال والشيخ الكريم   اخطا وعن نص القواعد قد خرج

(١) اشارة الى الاستاذ فهيم افندي خطار ابي عبدالله الذي كان يكتب بخطه المتناهي في الجمال مطالع الشيخ ملحم

اخطا وافتى ضد اقوال العرب وجر نفسه واتدبها للعتب

**

اي من مشى هذي الطريقه يالبيب حاد عن طرق الهداية والصواب
قول مخول الشكر ما هو مصيب اما بضاهر لم يزل عندي ارتياب
ركوبك عَلَى ظهر المهلهل شي غريب واغرب اذا مهر الجموح اعطى جواب (١)
لا تفتكو ان الجموح مهرٌ اديب ان الجموح يعصى اذا الفارس طاب
ولو قصدنا كل هفواتك نعيب كنا وجدنا حروف اولى ان تعاب
مثلها « مثلا » مؤلفها يخيب حذف حرف الهاء منها ما استطاب (٢)

**

اي من سلك هذي المسالك في كتاب ينسب الى طرق الشطط والاعوجاج
ينسب الى طرق الشطط والانحراف من لم يكن يحذو عَلَى حذو السلف

**

قول المعنى ان حفظته من السخيف صحت معانيه وبالشعر ائتلف
قايل القول الصحيح يبقى شريف عندما تجلى الحقيقه وتنكشف
اما الذي لا يحتمي القول الضعيف يصير لسهام الملامة كالهدف
اكرم بهِ ان كان معناه لطيف بفعل بارباب الورى فعل السلاف

---

(١) اشارة الى قول الشيخ ملحم « صادفتهم من فوق ظهر مهلهلا » وقوله ايضاً « ادوا الجواب بالحال كالمهر الجموح »

(٢) اشارة الى قول خصمه « هذي معاني ما حوت مثلا وراق »

حتى يظنّ الفن ممدوح وظريف ... وكل واحد في مقامه ينعرف
اوصيك في هذا لانك لي حليف ... اتبع طريقي في المعنىً ولا تخف

**

انا كفيلك في الوجاهة والشرف ... اطلب تجدني لك عند الاحتياج
اطلب تجدني لك عند الاقتضا ... اي عندما يغبرّ في الحرب الفضا
هناك تنظرني وفي سيفي وميض ... يسطع ويردي من بقولي ما ارتضي
كم فارسٍ ملقى علَى سطح الحضيض ... من حد سيفٍ سابق نزول القضا
رمحي يداوي في اللقا الصدر المريض ... رمحي وربعك يشهدوا في ما مضى
رايات قومي دايماً رايات بيض ... والنصر معقودٌ بها للانقضا

**

ويلٌ لمن في الحرب ضدي تعرضا ... في همتك ارديتهُ تحت العجاج

عند هذا الحد وقفت هذه المراسلة الشهيرة وانتظر الخصمان يوماً اجتمعا فيه وبرّدا من لهيب الشوق ما وصفاه في هذه المطالع الحماسية

(بين الدامور والشويفات)

ذكرنا في بدء مراسلة الدامور وكفرمتى أن المطلعين الاول والثاني منها ذهبت اخبارهما ونسختهما الحرفية الى الشويفات فهاج ما فيهما من العربدة عَلَى قوّاليها خاطر الخواجا منصور صافي والشيخ اسعد سعيد ظاهر فكتب الاول الى صاحب هذا الديوان في الدامور . والثاني الى الشيخ ملحم يوسف في كفرمتى . وهذا خطاب الخواجا منصور صافي من الشويفات الى صاحب الديوان في الدامور :

أزكى السلام منضود في انشادها		شروط الموده رمت قدح زنادها
عين الكرامه الرشد عندي والسداد		وخير من درّ الثمين قمادها

عين الكرامه الرشد عندي والسداد		والحرّ لا يرغب سوى حسن السداد
لو كان قاصد نقض عهدك والوداد		منصور ما كان الملامه زادها

منصور ما زاد الملامه والعتاب		حتى عرب نظم المسطر بالكتاب
الخص ضميرك اي متى ملحم وثب		وكالج صناديد المنايا وكادها

وكالج صناديد الوغى وشهرة صنع		من لفظ جاهل شخص عاقل ما قنع
سلم ونكس راية البيضا وخنع		في صارمه للغرب لما رادها

في صارمه للغرب لما زارها		ما كان قصاب العدى وجزارها
لو ما الاكارم تشمله بانظارها		ما كان طاف الغرب مره وعادها

الغرب ما كان طافه امره وثنى وظنّ انهُ صار محمود الثنا

* . *

وظن انه صار بالهيجا كما عنتر الى سوق الوغى بسيفه دنا
رام البلاد ومقصده سفك الدما الموت قلنا ولا احد يشمت بنا
إعتزّ في نفسه كثير وعندما صادمه عباس كان ذاق الفنا
من غير سلاح السيف من يده رمى ما شفت الا الشيخ ابو فندي رنا
نادى امان والقوم باتت بالحمى ثاني نهار نزلت الى حربه انا
اعجم لسانه صار يحكي بالوما سيفه اختبا ومن هيبتي الرمح انحنى
يزورك فرح وسرور زايد مثلما زار ابو فندي بلا ضيق وعنا
ضال مثله ما خلق رب السما وظن من سيفه الدما تجري قنا
لا اي من قال ونظم شادي انسمى هيهات يطعن كل من هزّ القنا

* . *

كم بالحري لو كان محفوظ اعتنى صيدته ما في بطل يصطادها
صيدته ما في حلاحل صابها الا بسهمه لا يزيد مصابها
لو حمي مضمارها قصابها في حد صمصامه انبرى جلادها
جلادها في حد صمصامه انبرى يدعى العقيد وفيلسوف الاكبرا
ومن اخد ثاره ان كان ملجم ما برا ذمتي بيني وبينه جهادها

ذمتي يني وبينه كفاحها   يرد الخساره وينتظر ارباحها

اعلم قلوب البغض في اشباحها   وباقي سيوف الحرب فى اغمادها

وباقي سيوف القاطعه ضمن الجلاب   ما زلت غامدها الى حين الطلب

ما همنا ملحم اذا تكنى غاب   ما هزّ طود الريح من اطوادها

ما هزّ طود الريح لوهب وعصف   والحال معنا بعدما غدّ خصف

ملحم لطيف كتير لكن ما نصف   فنه اختلف فكره قلبها ورادها

فنه اختلف فكره علينا يرتقي   والزور يا منصور شيّب مغرقي

* * *

والزور شيب مفرقي لعلني   اخشى اذا وبخت في نظمي شقي

قلبي تكلم من كلامي وعاني   ما هوي قلبي سوى النظم النقي

مصلف تكنى وقال انه ذلني   ومن بحر صافي كل صادي يستقي

معنى كلامه عن صفاته دلني   لا اشتكيه ولا ادنس منطقي

حتى خطابك غلني وما هانني   لكن معك اوفق يكون تعلقي

ما في أحد عن نقض حبك ضلني   اقسم بمين وحق عزة خالقي

ما كان ملحم في كتابه فلني   لو كنت معنا بالوقيعة ملتقي

* * *

الحق كله عليك يا شاطر بقي   انت ابواب الفتن مقلادها

انت مفتاح الفتن ضد السلام — احوجت ملحم يتحدي بهذا الكلام

ملحم هجانا وما عَلَى الجاهل ملام — اما العتب يبقى عَلَى اجيادها

اما العتب يبقى على اهل الكمال — تقصد بطل عاري الجسد ما في امل

تدخل بلدنا بسبر شاعر محتمل — منزل الى خطارها وقصادها

منزل الى خطارها وشخص الفريد — وكبيرها ملجا الاقارب والعريد

كافة رجال الغرب تشريفك تريد — لو تفقدت ونُيتمت اولادها

لو تفقدت بالعز ترضى الانتقال — بجفل تبدد ما احد فعلك فعل

منهم كبير كبارها تحذر وقال — يحجب اله العرش دم عبادها

جواب صاحب الديوان

ما زالت الأفكار في اوهامها　　عما حصل في الغرب يوم صدامها
الا ونميقه من نواحيكم زهت　　تعلن ظروف الموقعه واقسامها
عن كل ما قد قيل تصديقاً نهت
فلذا الخواطر كشف غامضها اشتهت　　حتى عَلَى المذنب تسلْ حسامها
حتى تسل حسامها وتدين ذاك　　الخادع الغشاش ملقي الارتباك
يلزم لتمحيص الحقيقه اشتباك　　يوماً به تنشر لوا اعلامها
يوماً به تنشر لواء الانتصار　　حتى البشر تعرف يقيناً كيف صار

・

هذا ولا يلزم خلافه يا شهير　　جملة جمل في فرد جمله تنحصر
يلزم شهود اثنين ومزكي خبير　　خالي الغرض حتى الشهاده تعتبر
ما زالها منّ وإلى وهد وزئير　　لا تظن المحكمة تعطي قرار
وبعد ذلك قلت الخص للضمير　　وشوف ملحم ايْ متى خصمه قهر
ملحم له غزوات موصوفه كثير　　وما سمعنا عنه مرة إنكسر
شهد له في الروع صعلوك وامير　　وكل فرسان الاعارب والحضر

・

واجب عَلَى اهل الذكا في الاختصار　　تنظر الى ما رصعت اقلامها
تنظر الى ما رصعت ضمن الورق　　خوفاً عَلَى شروط الطريقه تنخرق

لو ألجئت للموت ما بين الغرق ضد الشهامة تحتقر اخصامها
ضد الشهامة وضد عادات الوفا وبالاخص الهجو غيباً في القفا
لومك عليَّ بطل والبطل انتفى اهل المعارف ما خفضت مقامها
ما خفضت مقام اولاد الكرام يوماً ولا صرحت باسمك بالكلام

* * *

حتى ولا في اسم غيرك يافهيم لكنني حافظ لكم عندي مقام
ما قلته ياصاح عن قلب سليم انظر به ان كنت خالي من المرام
اما اذا اولت ضد المستقيم قولي فلا عتبٌ عليك ولا ملام
ما لي اراك وقفت لي ضد وغريم وصوبت نحو من كناتك السهام
ربي بما في ضامري ادرى وعليم ان كنت مفتاح الفتن ضدالسلام
مشربي حب السلامة من قديم انت تشهد لي بها وكل الانام

* * *

لشيء ما يعنيك رمت الانضمام عندي ثبت انك تريد خصامها
عندي ثبت انك تريد الاختلاف وهذا يغاير مشربي والائتلاف

* * *

من هو كبير كبارها بين الصفوف ذاك الذي يقضي وينهي ولا يخاف
بين لنا عن اسمه ذاك المخوف ثم انصحه حتى على الخاطر يقف
ويضم نفسه بين ارباب الدفوف حتى يكون محفوظ اسمه منعرف (١)

---

(١) منمز على قوال الشويفات الكبير

وان كان يعصى الامر ويهز السيوف نحضره جبراً عَلَى ظهور الجلف
شعراء مثله كثير في بابي وقوف يحسبوا الوقفه عَلى بابي شرف
نعطي لذا ناقه ونعطي ذا خروف كلٌ على استحقاقه دون انحراف
ولذا ترى الشعراء تقصد بانشغاف داريے فتلقى عندنا اكرامها
داري فتلقى عندنا ما يسرها تنشد عطانا وما تضعهُ بسرها

* . *

من كان شعره صحيح خالي من الخطا نعطيه اصداف البحار ودرها
ومن كان ذا اغلاط لا يأخذ عطا ترجم مقالاته عليه شرها
ومن تهجم لغة العرب وخطا وما كان يعرف حلوها من مرها
يمسي عريّ الجسم محروم الغطا يوقع بشر «قمادها» وفي ضرها (١)

* . *

من عندهم كتب اللغه ومقرها عند الضرورة جوزوا ارقامها
جوزوا ارقامها اهل العلوم لما القوافي تجحد منها الرسوم
و بعد هذا شوق وافر للعموم اهديه عني والسلام ختامها

---

(١) اشارة الى قول خصمه « وخير من در الثمين قمادها »

جواب الخواجا منصور صافي

ما زالت الافكار تشكي هياجها حتى قصدت الموقعه ابلاجها
الا وفن جديد بعد الفحص بان زايده فيه البشر ابهاجها
. . . . . بدعه بدع منصور لا يدعى جبان
ابحار فنه طايفه ونظمه تبن وقاذفه درّ وصدف امواجها
وقاذفه امواجها درّ وصدف مثلها هيهات يوجد بالصدف
للصدف خلي الصدف قلبي هدف والدر دكتور العلل وعلاجها
والدر دكتور العلل ينفي المرض لا يفسخ الجوهر اذا شانه العرض

* • *

لا يفسخ الجوهر عرض لو كان بروض الدر يخزن والصدف ذكره انتقض
من بعد هذا رمت تتميم الفروض حيث كل بند عليه رد واعتراض
حصلت بالايجاز رفقي والنهوض نشو الطبيعه نال فكري الاغتماض
قول المعنى دبج عربه لا يخوض سامع فقط لا يدخله ضم وخفض
ان كنت ناظم شعر او بحرك يفوض واجب تكمل ما عَلَى الشعر انفرض
وزن القوافي الشعر يلزم والعروض والنحو صرف موانعه لا ينرفض
قوال قبلك ما مشي هذي العروض ولا قدر اشعار موزونه قرض
نرجع لمن جسمه تصفح في الربوض رمحه لسانه من كلامه القلب جاض
تحقيق يدمي مقلة السبع البعوض لكن مقام السبع حاشا ينخفض

صار فكري ابحر اللغه يخوض افتي عليها وما رضي اكتب عراض

* • *

من جهتي مالي بحكمتك غرض فعلي شهودي لا يعوز حجاجها
فعلي شهودي ما غبا في ذمتي ظاهر ومن جاهل قبلت مذمتي
لو انكروا الابطال فعلي وهمتي شلفة قناتي تقرّ لي ورماجها
شلفة قناتي والمهند والدلاص يشهدوا بالروع خصمي ما فلص

* • *

يشهدوا والسيف يزداد الوميض برق الشمال احيان يخرم ان وبص
لكن حسامي لو سطع يروي الخفيض ومن جهلني في الوغى عني فحص
احوجتني ابقى الى قولك نقيض من سلطك تجري عَلَى المذنب قصاص
«وتدين خادع» صيرت قلبي مريض ربك يدين الناس من ادنى وخاص
كان قولك بالمعنى كالغريض زاهي وناهي وما حوى غير الخواص
صرت تتهجم الى نظم القريض وكل شي لو زاد بالمعنى نقص
للحجل راد الغراب يبقى عضيض فيه اقتدى غير الخساره ما رمص
عن ذكر هفواتك اذا رمت الغضيض تعتزّ في نفسك برفق واهتباص
مبدا الوقيعه رمت للقوم الغضيض وتاخذ كبير القوم منا اقتناص

* * *

ما بقى لك عذر من لومي وخلاص والجايزه محفوظ لا يحتاجها

محفوظ لا يحتاج منك الجايزه　　والعربده عن بعد ما هي جايزه
علما الحضر تعلم ديارك جايزه　　ومن خير جنابك نوقها ونعاجها
ومن خير جنابك نوقها والهيلمان　　تمشي بوجهك بالسلامه والامان
لو ينوجد محفوظ في مبدا الزمان　　كان انسمى رب العلوم وتاجها
رب العلوم وتاجها كان انسمى　　وغير ذكره ما اشتهر تحت السما
علما الذكا تقصد دياره مثلما　　مكه الشريفه تزورها حجاجها
مكه الشريفه تزور حجاج الشفيع　　يقصدوا نادي الذي شأنه رفيع

* . *

يقصدوا نادي الشرف يرجوا الفرج　　وكل من يقصد الى النادي يربع
رمت ائتلافه بلا ذنب وحرج　　ذو الحلم يتغاضى عن اللفظ الفظيع
لو كان بالعنوان شاف اسمه اندرج　　كان التزم يرسل من المعنى البديع
شوكة قضا يوم الوقيعه ما ترج　　يدعى رفيع ونحسبه خل الوديع
والمتني في شيء عمره ما درج　　للجفا من احوجك تبقى سريع
عن مركز الآداب خلك ما خرج　　حب الوطن لا ينتفى عند الجميع
نفحة مقالاتي كما نشر الارج　　اني بريع وعهدكم حصنه منيع
تظهر بقولك ليس عهدي بنمرج　　لكنما قلبك الى غيري ينيع

* . *

لغير معني قادها فكري سفيع　　شتان ما بين الثرى وابراجها

شتان ما بين الثرى وافلاكها   مع غيرها حاوات استدراكها
عقلك وعونك ماخذ كن ادراكها   ترصع كتابة والقلم رماحها
ترصع كتابة ثم يطرسها القلم   بانت نظير النار في قمه علم
ما جوّزوا ارقامها بلفظ الكلام   حتى ولا نقبل عوض ادراجها
حتى ولا نقبل عوض رصع اليراع   للحساب مخصصه العارب شرع
بالنظم الفاظ العرب دون اختراع   واضح وغامض جوزوا ايلاجها
واضح وغامض جوزوا دون الغريب   والضم والتحريك للناحي القريب
للجميع وكل من ذكري يجيب   اذكى التحية بالختام ادماجها

فلم يشأ صاحب الديوان ان يجيب عَلَى ذلك وعند هذا الحد وقفت المراسلة بين الدامور والشويفات

اما الان فلاجل تتميم الفائدة ننشر المراسلة التي دارت بين الشويفات وكفرمتى كما تقدمت الاشارة سابقاً :

بين الشويفات وكفرمتى

قال الشيخ اسعد سعيد ضاهر من الشويفات مخاطباً الشيخ ملحم يوسف من كفرمتى بسبب ما دار بين هذا وبين صاحب الديوان في المطلعين الاولين من مراسلتهما الاخيرة

القلب يخفق كلما جنّ الظلام ومؤججه النيران جوات العظام
والعين دمعا هل من جور البعاد فوق المحاجر مثل فيضان الغمام
فوق المحاجر مثل زخات البرد
ياعين لا تملي جفونك بالرقاد طيب الكرى إن رمتهِ عليك حرام
طيب الكرى ان رمتهناروعذاب راعي نجوم الليل عا بعد السحاب
جاوبت لو نمت نومي له سبب بلكي عسا الله بشوف ملحم بالمنام
بلكي عسا الله في منامي بقشعه شخص الذي مني اخذ نوري معه
جاوبتها قريب وهلي تاردعه لسانه علينا زاد تقريع وملام
لسانه علينا زاد ملامه وما التفت علّى الموده والحكايه ما اختفت
طاوعتها للعين بالساعه وغفت هاتف اتانا وقال لي معكم كلام
هاتف اتانا وصار يشرح وابتدا يحكي وما قد قال عنكم ما عدا
جاوبتها ياليت شعري شو بدا منا لحتى يذمنا إبن الكرام
منا لحتى يذمنا وفينا هجا نضيفه الايادي وعلنا مش محوجه

ولو هجا بتكون منه ناتجه　　من غير غايه ما دخلها ولا حرام

・

من غير غايه ما دخلها من الخليل　　ملحم صحابه طول عمره ما همل
هالامر هذا غير ممكن مستحيل　　صاحبي راعي الموده والكمال
ماشي مويه تحتكم الله وكيل　　جاوب الي واثق يمينك والشمال
يقنع فكارك يافتى باوضح دليل　　ما خصصك يوم الذي شال الحمال
هزيت راسي وصحت يا صبراً جميل　　بعظم يميني صوت كالشارب ثمل
صدق واغالط صرت من هذا القبيل　　وقد غيظي الدمع من انفي همل
وافت ولاد المعرفه من كل ميل　　سايلوني شو السبب ليش الزعل
ان كان في لك خصم جرب للصقيل　　وان كان عاوز هبلمان ابشر تنال
جاو بتهم مالي عدو امري سهيل　　تلخيص فيّ يارفاقي محتمل
جاني خبر عن فارس الهيجا النبيل　　ملحم استفتح بلدنا ومـا انفشل
والحكايه واضحه في كل جيل　　مكان التامن خاف يقول المثل
هاجوا وماجوا واصبحوا بقال وقيل　　مثل لبوه زجروا فقدت شبال
كل واحد كد وتعلى اصيل　　وصار فوقه مثل قطعه من جبل
من ساعتي لنحوهم درت الطويل　　وجهكم ناديت هيـا والرجال
كل من يدي الجفا راسه بشيل　　عا سنّ رمحي والحكي قد الفعال
اول وثاني اجاوبوا مـا نحتمل　　وكل واحد كد في حصانه وحمل

・

صاحت العقال ما هذا العمل   ابعتوا مرسال لعالي المقام
ابعتوا مرسال تنخبر إلو   اصبروا عا بعضكم وتحملوا
ان كان ذا صحيح تجادلوا وتراسلوا   وادعوا القلم يجري بما ربك حكم
وادعوا القلم يجري بما ربك امر   لاحقين عَلَى خرابا والعمار
ناديت عالنجاب لباني وحضر   عطيته النميقه وجد قاصد في سلام
عطيته النميقه وجد لنحوك وساق   ما اختشى بعد المسافه والفسق

* • *

ما اختشى بعد المسافه والطريق   ورام ياخذ كل عشره في قناق
نرجو الافاده الان منك يا رفيق   في بلدنا بحيث صاير انشقاق
ان كان ما للمسئله صحه حقيق   تنقوم في شل الذي نبله رشق
ورام يبدل كاسنا الصافي الرحيق   ويمزجه بالعكر من بعد الرواق
هالامر هذا ان كان له صحه حقيق   صبراً جميل منقول هاتفنا صدق
مايعود في لي حق دافع عن صديق   و بتكون قصرت حجتي وصبري نفق
والقلب يبقى دايماً بالانخفاق   ما لم اشوف سطور منكم والسلام

جواب ملحم يوسف

قسماً بمن لا غيره ربٌ كريم   رب البرايا معتلم اسرارها
ما زلت انشد في ثناكم كلما   هب النسيم وغردت اطيارها
ما زلت انشد في ثناكم كلما   هب النسيم وكل صادح قسما
قسماً بمن بسط الثرى ورفع السما   وزين الافلاك في اقمارهـا
زين الافلاك ودعاها تسير   في حبكم طول المدى قلبي اسير
ان كان عليكم حل هالمشكل عسير   عند جدك بوحسين دبارها
عندجدك بوحسين راي الصواب   لو تسايله بالحال اعطاك الجواب
اي مدخل كان لكم لما انتصب   ميزان اهل المعركه ومضمارها
ميزان اهل المعركه وميدانها   وخيولنا تحرث على اسنانها
في وهجكم نحنا طلقنا عنانها   وانتضينا من الجلب اشفارها
وانتضينا من الجلب بيض الشفار   والتقينا كل خيال ونفر
منصور شاهين رام الوقايع تنقفر   ودى نميقه يرتجي اخبارها
ودى نميقه يرتجي منا علام   عما تمم منا تقاويل وكلام
خبرته عما حدث معنا تمام   مين ولي ومن بقي جبارها
مين ولي ومين مع خصمه انفرد   ومن بسيفه فكك اقفال الزرد
اصطفت الخيلين واشتد الطراد   حتى حجب نور الضحيه غبارها
حتى حجب نور الضحى ثقل الغبار   والناس رامت بيننا عكس الخبار

* *

من بعد ذلك نرتجع في ذي الامور … نخبرك يامن حويت الاعتبار
لا تجعلوا دم الحمق حالاً يفور … فخر الرجال عند الامور الاصطبار
عندما زرنا حماكم في سرور … كان عندي الليل احلى من النهار
بالحقيقه ما بدا منكم قصور … كان يقذف جودكم مثل البحار
كان خالك عندما تحمى الصدور … يحمد وينفي كل ما سبب كدر
وابن عمك صاحبي ذاك الغيور … صاحب البطش القوي والاقتدار
عندما الحادي حدا وجد النفور … يعلم الله بالذي توقع وصار

**

في جاهكم نلنا بنود الانتصار … واهتز عود السمهري وخطارها
واهتز عود السمهري وابطا الكلام … اسعد الله بهمتك ميا ولام

**

دير بالك للمعاني يافهيم … وافتكر في ما مضى مرت سهام
نبهت عينك ساهره تبقى مقيم … يما بتحرمها الكرى وطيب المنام
الا وهاتف نبهك طبعه اليم … خبرك عن هالقضايا بالتمام
ظاهر كلامك رادعه ربك عليم … برهن لنا ان كان تحفظ للذمام
من غيركم من يدعي نفسه خصيم … يركب جواد والسابق يسل الحسام
يلتقينا في الوغى ليثاً عظيم … وبصارمي بهد الروابي والاكام
ما دام ظهري بوحسن اما بنوهم … لو جردت ابطالهم ترك وعجم

**

بس منكم برتجي رفع الملام ولا تجاروا الناس عا افكارها
ولا تجاروا من علينا اوقبوا وخرجوا ابن الذكا عن مذهبه
عا الف زله الجيد يحفظ صاحبه لا يمد نفسه ولو بغت اكدارها

بين الدامور ولورنس ماس

في بداية عام ١٨٩٧ ذهب ابن صاحب الديوان طابع هذا الكتاب الى الولايات المتحدة · وكنت يومئذٍ في السادسة عشرة من عمري · فلما عرف بعض المهاجرين هناك الذين من جهات قضاء الشوف انني ابن القوال المشهور منصور شاهين الغريب اخذوا يستحثونني عَلَى الكتابة اليه لكي يرسل اليّ مطلعاً يتفكهون به · فاخذت اردد طلبهم عَلَى ابي في تحاريري اليه حتى كتب اليَّ اخيراً هذا المطلع النفيس :

ريح الجنوب بكلفك سرْ باعتدال عندما تقصد الى قطب الشمال
ادخل الى لورنس ماس وطوفها وعن حبايب مهجتي ابدي السؤال
ادخل الى لورنس ماس وطوفها واسأل عن الاحباب بين صفوفها
عندما احباب قلبي تشوفها قبّل عوارض كل شخص بمفرده
قبلما تشكي تعب بعد المجال
قبّل عوارض كل شخص بمفرده قبل ما طيور الصباح يغردوا
ثم بعده بث شوقي واورده واهدي تحياتي الوفيه الوافره
الصادره عن قلب زايد اشتعال

اهدي تحياتي الوفيه الوافره　　مع غرر مني زهيه زاهره

* • *

بوصيك ابسط بينهم هذه السطور　　شارب قلمها من دموعي الطافره
وقل لهم هذه خفيات الصدور　　اشواق فيها كالبحور الزاخره
لا بل اذا عديت امواج البحور　　تحصى وشوقي لست تدرك آخره
وان رمت تحمل ربع اشواقي غرور　　بتغرقك مع ستماية باخره

* • *

هذا اذا كانت قويه وماخره　　بتزجها في اسفل البحر المحيط
خذ حملتك لاتغر نفسك بالمحال
بتزجها في اسفل البحر المحيط　　خذ حملتك لا تفتكر انك نشيط
بحر المديد ووافر وبحر البسيط　　امواجها نقطه لشوقي والسلام
هنا ودعنا الشوق يبقى له مجال
امواجها نقطه لشوقي والسلام　　هنا ودعنا الشوق يبقى له كلام

* • *

يا من تكبدتم خطر مزعج عظيم　　لا تسمعونا من بشر ادنى ملام
يهمنا من نحوكم حكي الذميم　　وادنى ملامه مثل ضربات الحسام
اولاً امشوا الصراط المستقيم　　ودائماً راعوا المروه والذمام
وتجنبوا من مرتع البغي الوخيم　　وتباعدوا عن كل ما يدعى حرام
وثانياً لا تجلسوا مجلس لئيم　　ولا تعاشروا الا ذوات الاحتشام

وتأملوا في قول مولانا الرحيم | من لم يسر في النور يدركه الظلام
واجب على الانسان ان يبقى مقيم | في موطنه ان كان ما ينال المرام
هذا وملازمة الوطن دأب الحريم | والسفر ما يكون الا للهمام

* . *

والسلاح يقفره بعد العلام | والقمر لولا التجول بالسما
يبقى على طول المدى اسمه هلال
والقمر لولا التجول بالسما | ما كان يدعى باسم بدر ولو سما

* . *

عالهينه تنظر صناديد وقروم | وتوجد جبان الحي يسطقي دما
لكن متى ما حرجت وقت اللزوم | يعقل لسانه يصير يحكي بالوما
ما كل رعدة تجلب غيوث وغيوم | ولا كل برق تنظره قطراً همى
وما كل من عد الكواكب والنجوم | يدعوه يوناني وما كلٌ وما
ما الفخر للعايف دياره والتخوم | لكن الى من عاد كاسب للحمى
باري البرايا ما خلقنا كي ندوم | هنا لكن لنتعب دايما
قال للانسان قم حتى اقوم | في صحبتك ان كنت تمشي مقوما
لكن اذا خالفت شرعي والرسوم | ما تشوف خير وفي الاخير جهنما

* . *

في الحق ان البعد طعمه علقما | لكن متى كان الفتى عقله رزين
اشهى اليه البعد من ماء الزلال

فلما وصل هذا الخطاب الى لورنس ماس وسمعه العموم بلغ سرورهم فيه حداً جعلهم يطلبون الزيادة . فلم يجدوا وسيلةً لذلك احسن من حملي على مجاوبته بطلع انعر فيه حمية سيدي يبعض انتقادات لغوية بدون غرض سوى حمله عَلَى المجاوبة . وقد تمَّ هذا الغرض اذ كتبتُ اليه

كانت جنائن لا تميل زهورها ... وكواكب الافراح مظلم نورها
الا وهب الريح من قطب الجنوب ... احنى شجرها وفاح طيب عطورها
الا وهب الريح من قطب الجنوب ... احنى شجرها وهزها وقت الهبوب
حامل معاني عن صفا الجوهر تنوب ... تتنقل الالطاف بين سطورها
تتنقل الالطاف ما بين السطور ... معبره عن بعض اشواق الصدور
وافت رجال الحي في بهجه وسرور ... لما عصف ريح الذكا في دورها
في دورها ريح الذكا لما عصف ... مالت له الالباب والقلب انعطف

* . *

ياما عشاير قاعده قامت وقوف ... لما فرزنا الدر من بين الصدف
اصبحت اهل الوطن شم الانوف ... حين سمعوا قول بالدر اتصف
لو نظر لقمان هاتيك الحروف ... وتأملت عيناه في تلك الطرف
لاحمر خده وعاد في الدنيا يطوف ... ويبكي عَلَى ماضاع من وقت السلف
منظومةً في عقدها صفوف وصفوف ... تحكي بآيات المروه والشرف
تقاطرت ميئات عندي مع الوف ... حتى يميني كل من فتح الصحف

* . *

فكري بما فيها من القول انصرف   عما ذبل من رايقات زهورها
عما ذبل من زهرها وزاد العجب   من بعض تغيرات بلسان العرب

٠

ثابت يقيني من جرى الشوق المذبب   برهانه ما قد تسطر بالكتاب
من ذاك تنظرني موالف للنحيب   احيي الليالي والسمير الاكتئاب
كيف العمل ان كان لم يوجد نصيب   وهل بحسب للدهر في شغله حساب
ايام ضادد عقلها بسط الحبيب   والدهر دولاب واليوم انقلب
ما كل تارك اهله يدعى غريب   كلا ولا ابن الفقر خالي من الحسب
لو ما هجر عيسى ولاقى الصليب   كان دينه باقياً طي الحجاب

٠

والذي يقعد ويطلب للرتب   ترخي عليه السافلات ستورها
ترخي عليه السافلات برودها   يقاسي لوافح حرها وبرودها
اما العلى قاصد خفوق بنودها   لا بد ما ارض البعيده يزورها
لا بد ما ارض البلايا والهموم   يزورها عمداً حسب راي العموم

٠

والان نضرب صفح عن هذ الكلام   ونعود الى شيء له اكثر لزوم
قاضي الذي ينهي عن الفعل الحرام   ويفعله بالشرع حكمه لا يقوم

تذكرت «بشهد فيك» من بعض الانام ... وكم كان قائلها على قوله ملوم (١)
نبهت فكري وقلت الله ياسلام ... من يستخف البحر في الانهر بعوم
ومن يستخف الشبل في وقت المنام ... لا يآمن وثبته عند الهجوم
ان المعنى شعر تكسيره حرام ... ما فيه عبد وسيد يفعل ما يروم

* * *

باري البرايا ما احد غيره يدوم ... ومن درى بمخبآت صدورها
من درى . فكارها يبقى ضمين ... اني مطيع الامر كالعبد الامين

* * *

عندي امانه ثابته طول الزمان ... الله يشهد والعوالم عالمين
لولا الامل في نيل منديل الامان ... ما كنت للتنكيت اطلقت اليمين
كم غالياً ينباع في ارخص ثمن ... والرخيص يروح في سعر الثمين
لما راينا النسر في وكره كمن ... خفنا الجنادب ان يطيروا سالمين

* * *

ويصير كار القول بين العالمين ... دوله هدم فرط التراخي قصورها
دوله التراخي حط عالي شأنها ... لما ترك ميزانها سلطانها
ومني تحيه ارتجي اعلانها ... عفواً لشبان البلاد وحورها

---

(١) اشارة الى انتقادات صاحب الديوان سابقاً على غيره من القوالين لما ابدلوا المضارع لبا . . راجع قوله للخواجا منصور صافي في المراسلة الاولى بين الدامور والشويفات « و بشهد طيرت عقلي وجناني » فقد حسبنا استعمال صاحب الديوان هنا هذه الطريقة التي انكرها سابقاً استخفافاً منه بنا وما كان القصد الا تحميسه طبعاً على معاودة الكرة

جواب صاحب الديوان

ولعله ابدع ما قيل في هذا الفن

ريح الصبا لما المنازل زارها فاحت حدائقنا بشذا ازهارها
وتمايلت اغصانها ميل الدلال عندما صفق ورق اشجارها
وتمايلت اغصانها ميل الدلال عندما صفق ورقها الغصن مال
حامل نميقه شوق من قطب الشمال ما عرفتها حتى فككت زرارها
ما عرفتها حتى تأملت السطور عشت ونعشت وطاب لي وقت السرور

***

بالورد والريحان زينت الديار والآس والنسرين مع باقي الزهور
ومطارف الزيتون مع اسعاف غار والنخل يتمايل كربات الخدور
وكان المزار يصيح من حول العمار وزينات شتى تميل وتهز الخصور
وكان يصعد نحو اقصى الجو نار من دارنا حتى ملأنا الافق نور
وتجمعت تلك القرايا والجوار بطبول تضرب للتهاني والحبور
جملة مدافع اطلقت للاعتبار حتى البسيطه كلها كادت تمور
والليل اصبح بالضيا مثل النهار وتعسر بطرقات ضيعتنا المرور
وصار زينه مثلها لا تظن صار من ابتدا العالم الى يوم النشور

***

والموسيقى غدت تجلي الصدور من عودها ومزمارها وقيثارها

من عودها مع كل آلات الطرب والناس تتقاطر لمنزلنا صرب

* . *

جمهور وافر من غريب ومن قريب ومن رجال الفلسفه واهل النسب
وكل عالم مصقع وكاتب ليب وكل من الف غنى ونال الرتب
شدوا الطلب كي يسمعوا كنت المجيب من عادتي لبي اذا اشتد الطلب
اصبحت واقف بينهم مثل القضيب وتذكروا من مثل منصور انتصب
قمت اقراً وكنت للنادي رقيب متأكداً اتلو قوافي تعرب
الا وباذني قدطرق: اخطا الاديب وخات تغييرات بوجوه العرب
قمت اعترضت ومفتكر اني مصيب وناديتهم ضجه قويه ما السبب
جاوبوني الكل انفاسه تطيب لكن لحن حتى ظهر منا عتب
« ايام ضادد عقلها بسط الحيب » لا عقل للايام ما نال الارب
مقصور مع ممدود ما ينظم اديب مابين «عرب وكتاب وحساب وحسب»

* . *

اقنعوني بعد اظهاري الغضب وحرقتي ابقت بقلبي نارها
حرقتي ابقت بقلبي من الدخان ما يسفر دارعه طول الزمان

* . *

اقنعوني وكنت ساكت يا امين وقالوا الشهاده بعد بذل الامتحان
نسمع عن المحروس ذو عقل رزين افهمه يطوي شراع العنفوان
ناظم غلط مع انه عالم فطين لو يرتجل كان اعتذر سبقة لسان

ولو ما يكون الخط من يده اليمين — كان حقه يقول اخطا الترجمان
ما سمعتها من جملة شهور وسنين — ان الثمن جايز عَلَيّ وزن الامان
عمري لحد الآن تسعه واربعين — ماشفت مثلك من رغب طلق العنان
كلاس خصمك لا تعبر بالطحين — ما كل ناصب حبل يدعى بهلوان
ان كان هذا الكعك من ذاك العجين — قبلما تطحن تروى بالزوان

* . *

لو ما تكون دارس معاني مع بيان — كنا سدلنا المعذره وستارها
كنا سدلنا ذيل ستر المعذره — ولو بدا معوج خط المسطره
لولا حنوّي لا تنال المغفره — ولا نلت طلبات التي تختارها
ولا نلت طلبات التي تحسن لديك — وان عدتها وراجعتها لومي عليك
وبعد هذا بشوق الثم عارضيك — مع من وجد من ارضنا وامصارها

﴿ واقعة كفرمتى ﴾

حوالى سنة ١٨٩٥ كان المعنى في جنوبي لبنان قد اخذ يزهو وينمو باهتمام بعض المتعلمين والاغنياء فيه · ولا عرو فان ابناء العلم من العرب اذا اطربهم الغناء من جهته الموسيقية يودون دائماً ألا تخدش آذانهم من الجهة اللغوية والعلمية · فلذلك تراهم في الغالب يميلون حتى في الحفلات الغنائية المحضة الى نوع النشيد الذي يردّد المغني فيه بنغمة لطيفة بعضاً من الاشعار المفيدة والجميلة · فلما اخذت المدارس تخرج الشعراء والخطباء اصبحوا بالطبع يميلون الى المعنى من بين الغناء لجمعه بين اللذة الموسيقية المطربة وبين فائدة الذكاء الفطري والاجتهاد العقلي والمقدرة الفكرية ·

وكان صاحب هذا الديوان قد بلغ من الايام مرحلة اقرب الى الرغبة في التقاعد والاعتزال لكن اسمه الطائر بين القوالين كان يشوق الناس دائماً الى استماع قوله ·

ففي يوم دعا حضرة جميل بك الناصيف ابي نكد من وجهاء الشوف الى منزله في كفرمتى عدداً من الذوات ومنهم حضرة الامير شكيب ارسلان الشاعر والكاتب المشهور · فاشترطوا عليه لقبول دعوته ان يسمعهم اقوال بعض مشاهير القوالين في الشوف و بنوع خاص قوال الدامور الذي كانوا يسمعون به ولم يسمعوه ·

فتعهد البيك الفاضل بذلك واخذ يرسل الى صاحب الديوان الرسول

تلوَ الرسول وهو يتمنع اعتقاداً من نفسهِ بانه لم يعد من فرسان هذا الميدان حتى دري بالامر كبار الدامور وصغارها فتجمهروا عليه وحملوه على القبول فرضي اخيراً وسار مستصحباً اولاده «طابع هذا الكتاب وكاتب هذه السطور» وصديقاً له من انسبائه الاعزاء هو الخواجا جرجس داود الغريّب · فكان لنا بظاهر كفرمتى استقبال دل على شدة اهتمام المدعوين بالفن من جهة وعلى عظم الاهمية التي كان جميل بك الناصيف يعلقها على قدوم قوال الدامور من جهة ثانية ·

ومما اذكره حتى اليوم ان عدد القوالين في ذلك المقام لم يكن قليلاً لكن الانظار اتجهت الى المقدامين فيها وهما الشيخ ملحم يوسف الذي مرَّ ذكره في المراسلات وصاحب هذا الديوان ·

ومع ان الاقوال التي قيلت في هذه السهرة قد كتبت كلها بالحرف اخذاً والتقاطاً من افواه اصحابها حالما كانوا يلقونها في المحضر · ومع انني كنت اعلق الامل الكبير على كونها محفوظة في كفرمتى كان من نكد الطالع وسوء الحظ انها فقدت بمرور الايام ولم يبق من تلك الجواهر المنظمة لِلنثرِ الا ما علق بذهني والدي صاحب الديوان من بعض اقواله الخصوصية وهذا يوجب الاسف الشديد لان للخطاب والجواب معاً لذة غير اللذة الموجودة في كلام الفريق الواحد · ومع ذلك يقول المثل ما لا يدرك كله لا يترك جلهُ ·

قال والدي في مفتتح الكلام مخاطباً صاحب المنزل جميل بك الناصيف ابي نكد :

نحن لك يابيك من دون ارتياب … وتحت امرك في الذهاب وفي الاياب
لما وصلني الامر يعلن بالحضور … طأطأت راسي وقلت مأمور الجناب
لما وصلني الامر يعلن بالحضور … طأطأت راسي بكل حشمه وفي سرور
قلت الاطاعه واجبه بكل الامور … وللحال بالايجاب رديت الجواب
وللحال بالايجاب رديت الرسول … وقلت متوجب عَلَى مثلي المثول
لكن بفكري كنت اتأوه واقول … ياليت بعد الشيب يرجع لي شباب
يا ليت بعد الشيب يرجع ما مضى … حتى يكون لك في مقابلتي رضى
لكن اله العرش في شيبي قضى … جلّ وتعالى ما لحكمه انقلاب
جلّ وتعالى حيث حكمه قد ظهر … ياما نظيري ناس في الدنيا قهر
ومن عايه خاطر البيك اشتهر … لو كان شاب بعودشاب ولا يعاب

فصفق الحاضرون اعجاباً بهذا الكلام . وبعد ان دار الدفّ عَلَى القوالين الموجودين واعيد الى صاحب هذا الديوان قال مخاطباً الامير شكيب ارسلان

يا مير يا عين الاعارب والحضر … فاخروا بك من عليهم إفتخر
شبل الاسد لاشك يطلع مثل ابوه … عَلَى القرامي تنبت فروع الشجر
. . . . … هاتوا التواريخ القديمه ونسبوه

ما عاد يلزم بالفعال تجر بوه — اصله ذهب والاصل ميزان البشر
اصله ذهب والاصل مافيه ارتياب — خلقه من الله مخصص بثقل الحجاب
قالوا أليس الكل من جبلة تراب — جاوبت والالماس اصله من الحجر
جاوبت والالماس اصله من الثرى — وكيف حتى امتاز عنه يا ترى
التفاوت في العقول بين الورى — الله سبحانه به علينا امر

وفي خلال القول كان الشيخ ملحم يخاطب مرةً الامير شكيباً ويمدحه كثيراً فقال في ما قاله :

انت الامير وابن الامير ما في خفا — لك صيت مثل المسك اشهر من قَفا

فلما انتهى من كلامه اذا بالامير وجلسائه الوجهاء يتهامسون ويتشاورون وبعضهم ينفي وبعضهم يؤكد . واخيراً سأل احدهم الشيخ ملحم عن قصده في قوله « اشهر من قفا » وكان القوال قد قالها « قَفا » بفتح القاف

فاجاب : انني اقصد « قفا نبكِ » قصيدة امرئ القيس التي يضرب بها المثل في الشهرة » فقال الامير شكيب . ولكن هي « قِفا » بالكسر وليست « قَفا » بالفتح . فاعتذر ملحم بانه يجهل اصول اللغة ولا يعدُّ نفسه ممن يستحقون المحاسبة على حروف وحركات من هذا القبيل

عند ذلك قال صاحب الديوان

نبهت فكري كي يكون في ايتقاظ — خوفاً عليَّ مثل هذا ينلحظ
انظر ودقق يا ابو فندي وشوف — النابغه جالس عَلَى منبر عكاظ
انظر ودقق يا ابو فندي وشوف — النابغه جالس يلاحظ للحروف

مثلي ومثلك ما له حق الوقوف   لو ما بحور الحلم تستغرق لفاظ
لو ما بحور الحلم تستغرق كلام   في الغلط مثلي ومثلك لا يلام
نحن المدارس ما احد منا حلم   فيها ولا نالت عيونه الانحظاظ

وبعد اخذ وردّ في مدح الحاضرين شكر الناس القوالين وطلبوا منهما فتح باب الحماسة · وكان الدف في يد صاحب الديوان فقال :

من هونا يابيك ما في مبارحه   حتى تراني عند جرّ الاسلحه
عندما يكرّ الحجر فوق الزناد   ويصير في اخذ وعطا ومزايحه
عندما يكرّ الحجر فوق الزناد   ويصير في اخذ وعطا ونقص ومزاد
والنفوس تباع في سوق الكساد   والمرامي للرصاص مفتحه
والمرامي للرصاص مشرّعه   والعذارى واقفه ومطلمه
شخص المزق سيفه غبار المعمعه   يزلغطوا له من بعيد مشالحه
يزلغطوا له وكل من منهم يقول   هذا حمى الزينات في اليوم المهول
خبروا عني العدى يوم الوصول   لا يظنوا اليوم مثل البارحه
لا يظنوا اليوم مثل الامس هو   مشربي حب السكينة والهدو
اما الذي يقصد لقائي من العدو   قبل ان يصل اقروا عليه الفاتحه

فقال الشيخ ملحم مطلعاً هذه ردته

في سن رمحي وصارمي يوم اللقا   امليت من دم العدى جوف الوطا

فقال صاحب الديوان

كم من قبيله طرقتها في دورها والسيوف للجو شاعل نارها
سقت الاسارى على الخيول معارضه خلفي العذارى ناشرات شعورها
سقت الاسارى على الخيول معارضه كتفتهم بالغصب ما هو بالرضى
في يوم اسود مثل يوم الانقضا لا بد ارض عداتنا ما ازورها
لا بد ارض عداتنا ما دوسها ان كان ما تحفظ معي ناموسها
حولي رجال في الحرب تكشف روسها وتلتقي روس الرماح بصدورها
وتلتقي روس الاسنة والسيوف في وجه باسم لذ له شرب الحتوف
مثل الكريم ما يش في وجه الضيوف نلقى العدى ونزيل منها غرورها

فقال الشيخ ملحم مطلعاً هذه ردته

سقت الغنيمه ورمت تاخذها معك صدك بطل رد الغنيمه كاسبه

فاجاب صاحب الديوان

سقت الغنيمه والحسام يصونها ارجاعها للدور ياما دونها
دونها ياصاحبي خرط القتاد في ليلة ظلماء حالك لونها
. . . . في ليلة انوارها برق الزرد
ونجومها لمع الاسنة والعدد فيها النفوس تباع بيع غبونها
فيها النفوس تباع بيعاً لا يباع من كان طويل الباع يثبت للنزاع
حتى يبان للناس من منا الشجاع ومن كان اخبر في الحروب وفنونها

فقال الشيخ ملحم مطلعاً هذه ردّة :

خلي الغنيمه ما تنال منها أرب ... من خلفها فرسان بتقد الزرد

فاجاب صاحب الديوان :

شوف الغنيمه وخلفها صبيانها ... هيهات ترجع بعد الى اوطانها
حصلتها بسنّ القنا ما بفوتها ... حتى ولو سدّ الفلك دخانها
... حتى غبار الخيل يملا بيوتها

شوف العذارى كيف طالع صوتها ... تنخي ولا من بتنخي من شانها
تنخي ومـا من اجلها من بتنخي ... هند تصرخ دعد يا دعد اصرخي
تطلب بطل صنديد ذا دم سخي ... ويبيع روحه في بخيس اثمانها

وقال ايضاً:

لما ترى الاعداء سيفي يروعها ... والرمح في يدي يشق دروعها
سباع البوادي والوحوش الضاريات ... تتبع اثاري كي تسدّد جوعها
... تتبع اثاري كيفما قومي غزت

اروي العدا طعنات مني نافذات ... ضرباً يقد صدورها وضلوعهـا
ضرباً يقدّ صدورها بروس الاسل ... ويصير شرب الدم احلى من العسل
والموت يرميها يمينـاً مع شمال ... ما تعود تعرف كوعها من بوعها

وقال ايضاً مخاطباً المرحوم مراد الخوري يوحنا شيخ الناعمة وكان قوالاً مشهوراً

ما بال ابو فارس عن الهيجا وقوف ... أما نظرت الخيل مصفوفه صفوف
الليل اقتم والغبار سدّ الفلك ... ما عدت تنظر غير لمعان السيوف

متفرقات

قال يهنئ صديقاً باكليله :

اقترانك ايها الخل النبيل   يفرّح المحزون ويشفي العليل
اسأل الهي تكون ساعه مباركه   مثل ساره ومثل ابرام الخليل
.   .   .   .   دعوة بهــا كل الانام مشاركه
ما تشوف في عمرك دقيقه ملبكه   وما يتم العام ليكون لك سليل
وما يتم العام ليكون لك صبي   من بعد ست شهور يمشي دبدبي
وفي منتهى العامين ينده يا ابي   وتعيش سالم بالهنا جيلاً وجيل

لما كان في الولايات المتحدة وقد قامت بين بعض جرائدها العربية مناظرات عنيفة بلهجة شديده ومرة اوجدت بعض الانقسام بين السور بين نشر صاحب الديوان هذا المطلع في احدى الجرائد داعياً المختلفين الى التآلف ونبذ الشقاق

ناحت ربي لبنان علَى سكانها   بكت وغدر دمعهـا وديانها
من حيث مـا فينا محبة بعضنا   امر علينا الرب في هجرانها
.   .   .   .   امر علينا الرب نهجر ارضنا
صار التعصب في المذاهب فرضنا   وفروض تلزمنا نروم فقدانها
وفروض تلزمنا نروم تضييعها   بارخص ثمن لمن طلبها نبيعهـا

***

لما رأى خلاَّقنا اخلاقنا   والطبايع غالبه تطبيعها
من ارض مولدهِ نفى استرزاقنا   اثمار عملنا كي نذوق تلويعها
ارضاً بها شعبه وعد خلاَّقنا   وقال اللبن والشهد يبنا يبعها
نحن احترمناها بغلظ عناقنا   حتى الشريعه ما رضينا نطيعها
ارضنا فيها ظهر اخراقنا   أخبار عنها ضد محض نذيعها
اشيا كهذه اوجبت لفراقنا   نسهب اذا جئنا على تنويعها

٠

ما من شريعه الرب في توزيعها   آمر رعيه تحتقر سلطانها
آمر رعية تحت ابراج الفلك   تعلن خيانة من ازمتها امتلك

٠

من طالع العهدين في حسن السلوك   يظهر له نور الحقيقه من الحلك
داود ما في كل اقواله شكوك   وقال يد الله عَلَى قلب الملك
ابن مريم عندما شاف السكوك   بالحق جاوب للشريعه ما هلك
عندما قالوا له بوجه ضحوك   هذا لقيصر هل يجوز نعطيه لك

٠

ما في قبيله دون ريس تنترك   حتى السفينه في درك ربانها
حتى السفينه تسير في امر الامير   تحت امره في الوقوف وفي المسير

٠

ما زال هو منها يرى حسن العمل   منه ترى في ضيمها نعم النصير
لما يراهـا لم يعد منها امل   في البحر نترك لا معين ولا مجير
من عملنا مثلها فينا انعمل   حتى نفخ في ارضنا بوق النفير
كل من منا ترك بيته همل   وقال الى آميركا طاب المسير
المال فيها كل من يقصد حمل   دنيا وسيعه والذهب فيها كثير
صوت وصرخ في الشرق للعالم شمل   صار الغني فينا يسابق للفقير

* • *

عفنا الوطن والقلب يتلظى بسعير   نيران لكن مختفي دخانها
نيران لكن في الحشى متحرشه   والعين الى شوف الوطن متعطشه

* • *

جئنا بلاداً كي محاسنها نصيد   ونبث للاوطان اشيا منعشه
قلنا الجرائد مثلها ما في مفيد   عندمـا تبدي كلام مناقشه
عن خطة الاداب لا يمكن تحيد   وتحسب كلام البطل اعظم فاحشه
ما مضى من الوقت الاشي زهيد   حتى وقع للبعض بعض مناوشه
اخلوا جميعهم من طريف ومن تليد   كي يجعلوا الاعراض ظلم مخدشه
يا صاحبي ما للحديد الا الحديد   سهام الكلام بالفعل تصبح طايشه
جسر الحديد ما زعزعته البرغشه   ولا الجبل يهتز من جنحانها

وقال ايضاً

يامن رجال الشرق تبغي قيامها ضد الحكومة من جرا احكامها
ان كان ماترجوه ياصاحب صحيح هز المهند والنحدر قدامها
ان كان ماترجوه ياصاحب صحيح قدامها هز المثقف والوشيج
ني تسمعك ما تذكر الله يا مليح من حربها تالي النهار وصدامها
من حربها تالي النهار والاندفاع عَلَى الاعادي مثل وثبات السباع
هذا اذا ما كنت ذوجانب منيع هيا بنا للشرق ميدان القراع
هناك يظهر للملا من كان شجيع ومن تأخر لقبوه يالكاع
الحرب يحسن عند ابواب الربيع واليوم يومه والوطن يرجو الدفاع
هاجر من الاوطان من كان يستطيع دفم الملة عند ضيق الاتساع
ما بقي ضمن الوطن الا الرضيع وشيخ عاجز ليس فيه انتفاع

**

اما اذا ما كان حربك في اليراع الى جوابك بارية اقلامها
بارية اقلامها وترصع سطور يتحدثوا فيها عَلَى بعد الدهور
كم دوّخت عالم وكم دكت قصور حتى وكم عزت عَلَى من رامها
حتى وكم عزت وكم هزت دول في معاركك ذكرها فبنا اتصل
كم خيبت من راس آملها امل لما اختبر عند اللزوم اقدامها
لما اختبر اقدامها عند اللزوم رد راجع للورا نفسه يلوم

فرسانها ما يوم رامت للهجوم حتى تعود والنصر هالة هامها
حتى تعود والنصر معقوداً عَلَى راياتها في امر من جل وعلا
لو كان تنميق الكلام يفضي الى اعدامها كانت قفت ايامها
كانت قفت والله من بين الامم لو كان في الاقلام تفليق القمم
هزّ القلم يؤلم ولا يرفع الم هز المهند والنحدر قدامها

وقال ايضاً

كل الدول تنظر عمل عمالها قبل الخلل ما يعتري اعمالها
كل من قابض ازمة مملكة ملزوم يعرف ما عليها ومالها
كل من قابض ازمة مملكة ما في شريعه تجيز له اهمالها
ما في شريعه تجيز له غض النظر عنها ولا يعذر اذا يوم اعتذر
الحذر يا اهل الذكا ثم الحذر يامن دعيتم للفنون اقيالها
يامن دعيتم للفنون اربابها كل مهنه دولةٌ في بابها
نقد اللغه وتهذيبها واعرابها في يد صاحب هالمقام اقفالها
في يد صاحب هالمقام مقلادها اهل الخلل في سوطه جلادها
اهل الوطن مذ هاجرت لبلادها ظنت ظنوناً خاب عندي فالها
ظنت ظنوناً بؤس ما نالت ارب ان المعنى دولةٌ من غير رب
راجي بان يعلن لاولاد العرب افرادها تعطي خبر اجمالها
اجمالها تعطي الى المفرد خبر ان شيخ الكار قاضيه انحدر

من له العربان تشهد والحضر ساحل جبل وجنوبها وشمالها
ساحل جبل وجنوب وشمال ويمين حتى يكونوا في وجودي عالمين
من نصارى ومن دروز ومسلمين فتيانها وشيوخها وعقالها
فتيانها وشيوخها واهل الرشاد من اجلهم هاجرت اهلي والبلاد
كار المعنى خفت يعلوه الفساد ودولته عندي محط رحالها
دولته عندي محط نياقها سابر ميّنها ومختبر اعماقها
صدفةً طالعت بعض سياقها خفت العواقب من جرا اقوالها
خفت العواقب عندما كان الوقوف عَلَى معاني كلها عكس الظروف
ناهيك عن تقعيرها وتكسير حروف ما جوزت اهل اللغه استعمالها
ما جوزت اهل اللغه تسطيرها ولم يقبلوا تبدل حروف بغيرها
كل جمله ما انوجد تفسيرها خايبه ترجع عَلَى من قالها
خايبة ترجع علَى من نصها وفي بعض تقريظات منا نخصها
يا اهل الذكا راعوا القوافي وشرحها قبل الوقوع الاحتراز يا رجالها
يا رجالها قبل الوقوع الاحتراز والندم ما يفيد من بعد البراز
لا تقنطوا در النفيس بينفرد عندي ومن فاز الشهاده نالها

وقال قد كتب اليه اخوه ناصر تحريراً اسود ينعي اليه به اباه
المرحوم شاهين زهران الغرّيب في الدامور
فاخذ يبكيه ويرثيه

كنت قاعد للموجع ساتر — الا وخطر لمنزلي خاطر .
وقال لك في البوسطه مكتوب — فيه علايم تصدع الخاطر
وقال لك في البوسطه مكتوب — فيه علايم ليس كالمرغوب
من موضعي هميت كالمرعوب — للبوسطة في سير متواتر
للبوسطة في سير مثل الطير — وقلت ياربي عساهُ خير
لما نظرت مغلف التحرير — وجهي تكلل في عرق فاتر
وجهي تكلل في عرق بارد — صارت افكاري بعضها تطارد
والدمع صار من الجفون وارد — مثل المطر نازل ومتقاطر
مثل المطر نازل على خدي — فضيت ختمه وترتجف يدي
تأملت فيه من الزمان مدي — وقلت يا ستار يا ساتر
وقلت يا ساتر ويا ستار — يتمت من بعده كبار وصغار
كان لي امل ان التقيه في الدار — لاحكي كما قال الصبي الشاطر
لا قول كما قال الصبي المبعود — عن والده لما اراد يعود
هكذا كان الأمل موجود — ما كنت هذه الفاجعه ناطر
ما كنت مستنظر ابي مصابه — هذا الخبر ما حاسب حسابه

ياليت بابور الذي جابه | مزق قلوعه وضيع الباطر
ضيع الباطر عَلَى المينا | وما كان اوصل ذا الخبر لينا
الموت حتماً يا اخي علينا | مكتوب بسجلات ودفاتر
مكتوب بسجلات من الديان | والموت منه ما سلم انسان
عَلَى ضريحه نسأل الرحمان | غيث الرضا حتى يكون ماطر
غيث الرضا ويوفي معه وعده | ويتم في دار العلى سعده
طول البقا ارجو لكم بعده | ومن الهي جبرة الخاطر

وكتب ايضاً الى اخيه ناصر (ابو زهران)

في الدامور

قال الملوع غريب الاهل والاوطان | نيران قلبي من الهجران شعلاني
والدمع من مقلتيّا غدّر الوديان | حتى وقرح عَلَى التكرار اجفاني
محروم طيب الكرى تحت الدجى سهران | ارعى نجوم الفلك والناس غفلاني
حتى تغيب الثريا ويختفي الميزان | والشمس تطلع وفيها الخلق فرحاني
من دون شخصي انا بالهم والاحزان | والناس بافراحهم وحدي باحزاني
من لوعتي صحت باعلَى الصوت يا رحمان | اشفق عَلَى جبلتك وارثي لصياني
ربي تنازل وقال قلبي عليك ملآن | ياما نهيتك ولكن كنت تعصاني
ناديت يا رب ارحمني انا انسان | برحمتك لا بعدلك قيم ديواني
قال لي ذنوبك ثقيله ترجح الميزان | مهما حصل لك قليل عليك يا جاني

حتى حكم في تشتتنا بكل مكان ... ما عاد منا احد ينظر الى الثاني
كل منا بقلبه شوق نحو فلان ... وكم من فلانه ترغب منظر فلاني
ريح الشمالي عصف ناديته ولهان ... ارثي لحالي واسمع ملفظ لساني
ارجوك لما تعرج في ربي لبنان ... حيّ المنازل وحيّ كل لبناني
بلغ سلامي الى الاصحاب والخلان ... واشهر كتابي على اهلي وجيراني
وان سايلوك قل لهم عني بلا كتمان ... اني علَى بعدهم دمعي دما قاني
والله من نهدتي يتلين الصوان ... ومن حر انفاس صدري الارض وهجاني
لو كنت عارف كذا يفعل معي الهجران ... ما كنت فارقت اهلي وفت اوطاني
لكن حكم ونفذ من مجلس الديان ... صار الذي صار ما عاود بامكاني
لا تقطعوا ذكرنا وتذكروا من كان ... يا رفقتي بالفرح لا تبخسوا مكاني
شقيق روحي رفيق العمر ابو زهران ... زندي جناحي ضيا انوار اعياني
عوني رجائي اذا جار الزمان وخان ... درعي سلاحي حسامي عدتي سناني
قلبي علَى ما بقلبك آخذه برهان ... قلبك علَى ما بقلبي خوذ برهاني
القي همومك على من كون الاكوان ... واحد فقط بالنظر يرعاك ويرعاني
قادر يحلحل قيودي ويفتح اللومان ... ويفك يسري ويرفع ظلم سجاني
يا ميتي افتحي صدرك الى الديان ... ولا تكوني بحكم الرب زعلاني
القي همومك عليه شفتاً ولسان ... حتى وفي القلب صلي دوم منشاني
طالب رضاكِ علي خاتم القصدان ... لاثم يديكِ وراسي للارض حاني

وقال في اميركا يرثي احدى الجمعيات السياسية المضرة عند سقوطها

يانار قلبي اشعلي لا تخمدي يانار ... حتى مفاصل جميع الجسم تكويها
ياعين كوني ممَوحه بدمعك المدرار ... كيما حقوق الوطن والاهل نوفيها
وساعديني عَلَى ما الدهر فيها جار ... من فقد تلك التي كان الامل فيها
تلك الفتاة التي صارت بلا انصار ... في قوةٍ غير منظوره خوافيها
تعزى الى اسم سوريا مكر مكار ... من اجل ذا الاسم كان الشرق راجيها
وتحدثوا بذكرها في اربعة اقطار ... هذه البسيطة قاصيها ودانيها
والبرق يا ما حمل من عندها اخبار ... خطر على القلب اشيا كان ساليها
هاج الذي كان مسدولاً عليه ستار ... من الضلالة ورام الانتما ليها
اماذوات العقول المدركه الاسرار ... من يوم ميلادها عرفوا معانيها
قالوا فتاة مصوب سهمها الدولار ... بوجود اهل الحجي طاشت مراميها
لكن تباين بقي والله بالافكار ... حتى صدمها فتىً زعزع مبانيها
آلى عَلَى نفسه لو صار مهما صار ... ما ينجع في الثرى حتى يواريها
صدق بما قال صادق فعله الانذار ... سحقاً سحقها وابكى اهلها عليها
يا حيف بعد العلا والعز والمقدار ... تنزل وتقبر واهل العلم ترثيها
كان الامل يجمعوا من جولها الدينار ... لولا الحقيقة عن ذا العزم تثنيها
نسأل لزعمائها من رحمة الجبار ... صبراً جميلاً وفي لطفه يعزيها
ويسكب على ارض ضمت جسمها اقذار ... وروحها في مصاف ابليس يحصيها

* • *

واقترحت عليه احدى الجرائد الاميركية مطلعاً يطلب فيه كاهناً من البطريرك لرعاية ابناء طائفته هناك فكتب ما يلي :

رشيقة القد خدها ابنة الافكار ... جاشت عَلَيَّ خاطري باحت بها شفافي
ناديتها اسفري يا زينة الابكار ... قالت اخاف الوقيعه قلت لا تخافي
بكراً وما غادرت يوماً حدود الدار ... كلا ولا يوم قالت هان اوصافي
كم قد اتاها من الطلاب والزوار ... كي يدفعوا مهرها وصداقها الوافي
كانت تمانع وتسدل دونهم استار ... وان مازحوها تجاوب في كلام جافي
واليوم قامت تميس بقدها الخطار ... وتقول اهمال امري جرّ اتلافي
صارت اليكم لتشكو ما اليه صار ... ذاك القطيع المغذى من لبن صافي
مبني عَلَى الصخر لكن يلزمه انذار ... في دار غربه وعن اوطانه قافي
تائه مشتت ولا يعرف له مقدار ... والذئب رابط يلاحظ والحرس غافي
راعيه يلفت اليه بعين استكبار ... ويظن سلطانه ليصونه كافي
من اجل ذلك قامت تنهب الاقطار ... لديارکم کي تنادي اين انصافي
وتقول يا راكباً من فوق مركب نار ... في البحر انخر وجوب البر وفيافي
اقصد حمى كوكب متشعشع الانوار ... في الشرق ساطع لانوار الضلال طافي
قل له قطيعك غدا هدفا لسهم العار ... من كل فم ودرع بالحمى ما في
انت المؤيد بروح الله بلا انكار ... من فمه خولك في الضيق اسعافي
كم مرة قال في الانجيل يا مختار ... لمسام الروح ارسل مرهم الشافي
استدرك الحال في راعي من الشطار ... يرعى قطيعك بنثر للذيول خافي

راعي يقول غايتي يا سيد الاحبار ضم القطيع للحظيره بدل اكلافي
كي توضح العذر لما يوقف الجبار ويقول يا راعياً اهملت لخرافي
في ذلك اليوم ماذا ينفع الدينار عند انتصابك امامه عارياً حافي
لا بد من يوم فيه تظهر الاسرار ويبان ما تحسبوه مستتر خافي
ويقول قدم حساب الربح في الاتجار من بعد تسديد راس المال والصافي
ان كنت ربحان في الوزنات تحسب بار حتى يناديك ادخل بين اضيافي
وان كنت خسران مالك من غضبه جار لو كان خلفك الوف الوف سيافي
ويقول يا خائناً للعهد يا مكار اذهب الى النار فيها لك جزا وافي
فكم قتيلاً غدا محتاج للاسرار هل كل مقتول تحسب دمه هافي

(جواب تحرير الى الخواجا ابراهيم الباحوط)

لما وصل تحريركم قلبي امتلك زاح ضيماً كان على قلبي برك
لما فتحتو وشفت ما قال وحوى دمعي فتح بالخد خلجان وبرك
لما فتحتو وشفت ما قال وحوى بكيت حتى الثوب من دمعي ارتوى
قلبي عمد لا ملتقاك هم ونوى والجسم ضادد ما رضي في الاشتراك
والجسم ضادد رايه فيما يريد حتى حصل ما بينهم وعد ووعيد
لبسوا الزرد وتمنطقوا دروع الحديد هزوا الصوارم واضرمت نار العراك
هزوا الصوارم بالسواعد والجنود وكل خصم بخصمه راجي يسود
جسمي ظفر في القلب غلّه في القيود ضيق عليه السجن كيما ينترك

ضيق عليه السجن لما ان وقع   صار يبكي ودمعه برّك نقع
في قدرة الله قام لقيوده قطع   وفرّ مثل الريم من فوق الشرك
وفرّ مثل الريم لا صوبك مرى   مذعور خايف دوم يلفت للورا
صح وثبت بعدان جرى ما قدجرى   جسمي بقي في مركزه وقلبي معك

وقال يودع ولده طابع هذا الكتاب عند عزمه على سفر بعيد وذلك في حفلة جامعة سنة ١٩٠٨

ياما ليالي طوال صار لي ناطرك   يا فرح حتى اعلّي قناطرك
قلبي يحسّ بقرب ساعات الفراق   ويقول ويلي عند كلة خاطرك
ـَ ـَ ـَ ـَ   ويقول ويلي عند ما تشيل النياق
لو ما الامل في قرب ساعات الفراق   يا همّ من يقدر عليّ يشاطرك

وقال صاحب الديوان مطلع غزل

من هواكم ما ترقبنا غير الشماته والحكي فينا
ان كنت رايدلي ورايدلك على رسوم الحب مشينا
ان كنت رايدلي ورايدلك عالعمر ما اهوى احد بدلك
واجب عليك تجود بوصلك

ان كنت محبوبي تحكي كلام صحيح
قرب الى صوبي بالوصل كن سامح
هيك مرغوبي حقي عليك واضح

الناس تشهد لي وتشهد فيك لو حلفنا ما تبرّينا
لو حلفنا ما تصدقنا بسهام الحب راشقنا
الحق يا محبوب حايقنا

قاضي الهوى موجود عالشرع لاقيني
نحكى له المقصود عندي عليك يدني
بوصالك جود حاجي تلاقيني

بتقول لي مغروم في حبك لفظة لسانك ما تكفينا
بتقول لي مغروم في حبك في هالحكي خليتني ملبك
صح المثل يا حلو فيّ وبك

بظهورهم الماء ومن العطش ماتوا

هذي خبار علماء — من قبلما ماتوا
وحق الارض وسماء — كملت رواياتو
ان كنت رايم حبنا فضا — وان كنت هاوي الغيار خينا
. . . . . — بدنا الحكاية عاد تُنمضي
من دون حيا احكي بلا عتوبي — ان ردت وان ما ردت تُنقضي
حاجي فكاري فيك متعوبي — خليت عضام الصدر ممرضا
مر المراير صار مشروبي — وانت عاكاس الهنا مقضا
هذا بفكري وهيك مرغوبي — بالوصل او انك تعادينا

وقال يخاطب القوال مراد الخوري في محضر فرح وكان مراد يمتنع عن القول ويعلم القوالين ضد المرحوم خطار ايوب

ما بال ابو فارس عن الحمله وقوف — ما نظرت الخيل مصفوفه صفوف
الجو اقتم والغبار سد الفلا — ما عدت تنظر غير لمعان السيوف
الجو اقتم والغبار سدّ الفلا — والخيل من لمع الصوارم جافلا
والفضل للخلفه بجر القافلا — طعن الرماح شك القرايز بالقحوف
طعن الرماح شك القرايز بالكرك — والفوارس في صدام وفي عراك
شايفينك انت يامقدم درك — بس حيّد عا جنب مهرك حدوف

✻ مطلع المجرفه ✻

من نظم الخواجا نخله شيبان الغريب وهو من مشاهير القوالين

ياصاحبي ان قلت انا عبداً الك   لا تبيعني وتدعي العواذل تشتفي
وان قلت لك نقبر عظامي ياقمر   ما هو حلال تحمل قوام المجرفي
وان قلت لك نقبر عظامي ياقمر   ما هو حلال تقول واجب ينطمر
ازرع بلح ياصاح يجني لك ثمر   اعمل جميل ودشره ما يختفي
اعمل جميل واتركه يرجع اليك   ولا تخاصم كل من فضله عليك
لا يغرك اسم مير وابم بيك   غير بالاعمال بالك تكتفي
غير بالاعمال لا تأمن حدا   وكل صاحب جرّبه في الابتدا
سلم صديقك لا تسلم للعدى   ولا يغرك حكيهم والصفصفي
لا يغرك حكيهم والزوكره   قلوبهم تبقى عليك معوكره
بوصيك لا تمشي دروب المنكره   لا بد يطلع لك ريحه مقرفي
لا بد يطلع لك ريحه مكرهه   ولا تعاشر كل اصحاب الدها
ان كان عندك للتقارن اشتها   اقصد بنات الاصل منهم واصطفي
اقصد بنات الاصل خال وعمها   واترك بيوت اللي البشر بتذمها
البنت تطلع يافتى لامها   حسب قول اهل الذكا والمعرفه
حسب قول اهل الفطانه والكمال   العم عمده لكن العمده الخوال
لا يغرك حسن لا يغرك جمال   الحسن زايل والسراج ينطفي

الحسن زايل لا يدوم الا العمل — مات حاتم طيّ ذكره ما انهمل
مات عنتر مات هاني واندمل — وذكرهم باقي حديث وسالفي
وذكرهم باقي حكاية للامم — اتبع اثر اهل المراجل والكرم
ما نحصل صيت الا بالهمم — والجلد في كل وقعه مخوفي
والجلد في كل وقعه مرعبه — والصدق للانسان انخر موهبه
يحفظ مقامه دائماً والمرتبه — وما يطيق الذل اذا مات وهفي
وما يطيق الذل اذا مات وفني — نرهم شرف ينوف عن مال الدني
الموت يأخذ للفقير وللغني — والذكر باقي دائماً للموقف
والذكر باقي دائماً الآخره — ياسعد من يلبس ثياب الفاخره
الموت احسن من حياة المعيره — العار يجرح كالسيوف المرهفي
العار حمل ثقيل اثقل من جبل — يارب توقينا من دروب الزلل
ان الحسد والبغض اساس العلل — والناس ذموا الكبريا والعجرفي
والناس ذموا العجرفي والكبريا — ياسعد قوم طاهرين وابريا
نعوذ بالرحمان من اهل الريا — لا تآمن غدر هذه الطايفي

(وله ايضاً بحروفه)

ياحسرتي وقتي مضى وعمري فني — ولى صباي وراح وقت الولدني
ياحرقتي لولا الكهوله بتنبدل — لكنت ابدل شيبتي بمال الدني
ياحرقتي لولا الكهوله بتنبدل — لكنت ابدل شيبتي بمال الجبل

اظن راح يصيبني مثل المثل — ياشيوخ عودوا شباب مغزلني
ياشيوخ عودوا كما كنتم شباب — عندي موء كدطلبتي ما تستجاب
الالحوجني وتهت عن درب الصواب — الفرق ما بين الفتى والمنحني
الفرق ما بين الفتى والاختيار — هذا حوجني اخترت هذا الاختيار
اذكر زماني الاولي ونحن صغار — بالملاهي بس كنا نعتني
بالملاهي بس كنا راغبين — مثل الحكاية مرت علينا السنين
ما فرحنا بالزواج وبالبنين — حتى ابتلينا بالبكا والدندني
حتى ابتلينا بالبكا وهم الولاد — اول مصيبه طلوع اسنان الجداد
نقضي الليالي بالسهر والاجتهاد — وان فرحنا يوم تتكدر سني
وان فرحنا يوم تتكدر شهور — مثل اليا كل حلو يستطعم مرور
العمر يفنى بالامال وبالغرور — وكل يوم نقول بكرا نغتني
وكل يوم نقول يأتينا الفرج — تزيد العيال نصير في ضيق وحرج
وان صرفنا كثير يقولوا خرج — وان قصدنا الوفر يقولوا دني
وان قصدنا الوفر يقولوا بخيل — وبالاخص ان كنت ذا مال جزيل
وهذا عيونو بتوجعوا وهذا عليل — وهذه عليها قمل وهذه مسيبني
وهذه عليها قمل وهذا بالسفر — وهذا وقع وانفك وركو وانكسر
من اين بدو يكون راحة للبشر — وكل يوم نشوف شوفي محزني
وكل يوم نشوف هيئه مكربه — ويوعظونا في اخبار مرعبه
يقولوا جهنم نار فيها ملهبه — ومخصصه للكافرين والمغني

ومخصصه للاغنيا والكافرين والناس تركض للغنى متسابقين
عاقلين وعالمين وواعظين يحصلوا الاموال ولو بالمسكني
يحصلوا الاموال حلال وحرام وما يجي في البال ربي ايش قال
ان كان في ثقب الابر يدخل جمال من جنة الفردوس مقرش يجتني
من جنة الفردوس يجني للثمر ندّوا الورق بالخبر من هذه الصور
وكام واعظ دوم يوعظ للبشر بعد ساعة ونصف يهدم ما بني
بعد ساعة ونصف ينسى ماوعظ وما انتبه انه عليه يتلحظ
صار واجب بعد هذا نلفظ صح الصحيح نادوا بفساد المجبني
صح الصحيح ما عاد فيها فايده جبلة الانسان جبله فاسدي
نحن اختصرنا عن امور الزايدي وخلي البقايا بالقلوب مخزني

وله ايضاً

جلوة العروس

الله بلالي بلالي سهران طول الليالي

سهران من اجل خشفي من كل عله بتشفي
بالحسن والقد وصفه حويت جميع الجمال

الراس راس اليمامه والشعر لون الظلام
وعيون ترمي السهام وتصيب قلب الرجال

فوق العيون الحواجب مثل السيوف القواضب

وجبين مثل الكواكب   والوجه بدر الكمال

والانف لوز المقشر   يفوح مسكاً وعنبر
والفم خاتم مجوهر   وسنان مثل اللآلي

والقد رمح الرديني   كالسرو وسط الجنينه
والصدر كلوح صيني   والعنق عنق الغزال

ونهود بلور صافي   فيهم شراب العوافي
وزنود مثل الكنافي   وكتاف ثلج الجبال

سبحان ربي عطاها   من الحسن نالت مناها
يا سعد شخص حواها   يعيش عيش الدلال

اللطف والذوق فيها   وبالعقل تدعى نبيهه
نسل الاكارم ابيها   منسوب عما وخال

والام كنز المفاخر   من اصل قوم اكابر
والتم من غصن ناضر   يفوق اكل المحالي

بنت الكرام الاماثل   لابن الكرام الافاضل
داراً تخش الاصايل   يبقى من الهم خالي

ويزينوا بالبنينا   والرغد طول السنينا
يا ناس قولوا امينا   الله يسمع مقالي

كان صاحب هذا الديوان قد ارسل مكتوباً من مصيفه في دقون الى ابن عمه الخواجا رشيد فرحات الغريّب مختوماً بالعجين حسب العادة المرعية فيظهر ان العجين كان كثيراً بهذا المقدار حتى تعذب الخواجا رشيد بفتحه فكتب رشيد هذا المطلع

ختم كتابكم حير فكاري   قل لي بس من ايا خميره
لو ما كان صاحبها غنياً   اصبح عالتراب بلا حصيره
جيت لا افتحه ما كنت اقدر   كثر الشد قصف لي ضفيري
ثمانة ايام موّنا المنازل   تيسّرنا بهالسنة العسيره

ضاهر بولس

القوال الشهير اتى ليزور صديقه الدرزي علي الخدم في جزر نهر الدامور وكانت اخته في البيت وحدها تشتغل بالخياطة فسألها عنه فاجابت انه غير موجود ولكنها لم تدعه للجلوس احتشاماً فبقي في خارج البيت يستريح من تعبه . وقد كتب هذه الورقة ورماها في البيت فلما عاد اخوها وجدها وفيها :

بلي ملثم بالحرام على الوشاح   خيطت قلبي والحشى في ابرتك
عنتر ملك بر الاراضي والبحور   قيراط واحد ما حوى من كبرتك
عنتر ملك برّ الاراضي والبحور   ولا جبر قدك ولا علّى القصور
سليمان بن داود ناغت له الطيور   وما كان في عبره توازن عبرتك
ما كان في عبره ولا قدك حشم   لا تزيد الجبر يا عايق حرام

اسكندر ابو القرنين وقت اللي حكم   كان اوطى جانباً من حضرتك

وكان ضاهر مدعواً الى عرس والناس يتطلعون ليروه فلما اتى تطلعت فيه احدى الزينات وقالت بتعجب : يي هذا هو . قدّ جيز النحل . فسمعها وقال :

يا بو عيون السود انظر يا لبيب   لا تزيد الجبر يوم الله قريب
النحل وكم ما احقره بين الطيور   يجني عسل كل العلل منه تطيب
النحل وكم ما احقره بين الطيور   يجني عسل يحلي الى كل المرور
لا تواخذنيش رايح في الغرور   ما في عتب بيناتنا ولأنك غريب

وقال الخواجا بولس رشيد (الغرّيب) قوال الدامور الحالي :

كنا في جلسة بسط مع اصحابنا وموجود ثلاثة قوالين احدهم اكبر من فينا فاخذ يمدح حاله ويهجو بلا سبب :

عَلَى معناك نحن ما انتقدنا   ولا رميناك بمصايب شديدي
ولا النيران عاجنابك وقدنا   لا بل الهجو عندك عقيدي
هذا الفكر بالاول فقدنا   حيث الحب اركانه وطيدي
ولكن عندما الشربة نقدنا   عرفنا قصدك تحمي الحديدي
لو كان غيركم عسكر قصدنا   يريد يصيدنا صيد الطريدي
عَلَى تنكيثهم كنا عقدنا   ايادي مثل ملزمة الجديدي
وعَلَى النيران من اجلك وقدنا   وحتى الصخر كأس من نهيدي

طلع تفسيرهـا شخصك بعدنا عنه وصاح هي الغاية الوحيدي

* . . *

يا معتلي من فوق عال نجابهـا وذميت اولاد الذكا واربابها
كنت قادر جاوبك لكن فقط ما يجوز للعين تعلا حجابهـا
العين ان عليت على الحاجب سقط

عا قولنا كم الف نقطه من النقط واضع عليه وطالعه بايجابهـا
واضع عليه وطالعـه بحلها تا نلت منك هالقساوي كلها
مالك عوايد للاسود تذلها حتى ولا احصرتها في غابها
حتى ولا احصرتها في وادها ولا جعلت من لحم الفوارس زادها
يا اروعي لا تقول بولس زادها كل كلمة تستحق جوابهـا
كل كلمة جوابها يرجع الك مني انا لو كان يعقبه الهلك
ومن كون اني بعرفك ما بجهلك من قولكم نفسي ظهر اعجابها
نفسي ظهر اعجابهـا من قولكم ومن مراجلكم ودق طبولكم
أخذ روحي ما انحصر بقبولكم ما يردها بالحق غير الجابها
بالحق غير الجابها ما يردها عاغير داعي مراجلك لا تقدها
قد ما بتصال يدك مدها بالآخري منشوف صافي حسابها

ولهُ ايضاً مطلع حماسة

ابطالنا هزت قواضبها وجاءت تحارب من يحاربها
والارض تشكي الثقل للخلاق من نقلة حوافر جنايبها
والارض تشكي الثقل للخلاق من نقلة حوافر خيول عتاق
عاليتها اسود ما بتنطاق ضرباتها في يوم سوق كفاح
تبري المعاصم مع مناكبها
ضرباتها في يوم سوق كفاح تبري المعاصم مع شفار صفاح
فوق المناكب لاتحين رماح الموت ساكن في اسنتها
والمنية في كواعبها
الموت ساكن في اسنتها ولا يوم اخذ رواح سنتها
للخيل ما يرخو اعنتها غير ما تزعق غبايرها
وللغزاله الظهر تحجبها
غير ما تزعق غبايرها وللغزاله الظهر تسترها
في وقتها تشهد بواترها وتصب صبات البلا المصبوب
ومن خصمها تبلغ مآربها
تصب صبات البلا المصبوب وتفعل فعايل عنترة بو غصوب
وتخوض سوق المعركه بقلوب من المنيه وشرها ما تهاب
لو انشبت فيها مخالبها
من المنيه وشرها ما تهاب ولا يمسها خوفٌ ولا ارهاب

سبحان رحمن العلي الوهاب بالنصر والتوفيق خصصها
في وقت ما فرق مواهبها

بالنصر والتوفيق خصصها وعاقد جرم النفس قاصصها
لما العدى بانت نواقصها زلت وفرت ساجده النا
من بعدما حطت مراتبها

زلت وفرت ساجده إلنا وطاوعت عا كل ما قلنا
في ارضهم عاخيولنا جلنا وعندما سيف المهندرن
النهب علق في مضاربها

عندما سيف المهندرن كل من شاهد فعالي جن
ماعدت تسمع غير صريخ وعن ورماح تلدع لدعة التعبان
وفرمان تقلب عن مراكبها

ورماح تلدع لدعة التعبان وكل من فيها انلدع تعبان
موت الزؤام سقيت للعدوان في شلف وحراب مسمومي
وسيوف لاتنبو مضاربها

في شلف وحراب مسمومي وسيوف تفرج بالوغى همومي
طالعي مسعود من يومي مادخلت وقعا لرجعت منصور
ورفاقتي تفتل شواربها

مادخلت وقعا لرجعت منصور في جاه عمي وسيدي منصور
في همته قادر افز السور ولوخشيتي من الجبر كنت بقول
وان كان لاحق في سحائبها

بعض اقوال ناصيف نصار من القماطيه · وهو رجل امي
توفي منذ بضع سنوات وقد جمعها له المحامي
ناصيف افنديـ عطيه

الله يلومه كلّ من عماً يلوم   يوقاع مثلي بالهوى ما يعود يقوم
حرّمت عيني تلتفت صوب القمر   من كثر شك اللي حصل عند النجوم
. . . . .   من كثر شك اللي حصل عند البشر
بلي معك هالسرّ بالك ينشهر   ظلّ ادم بالمحبه تا تدوم
ظل ادم بالمحبه تستقيم   واللي تظاهر بالمحبه كان غشيم
خليك ثقيل الراس ما يهزك نسيم   لا تكون مثل الزيت عالميي تعوم
لا تكون مثل الزيت عالميي تفوش   خلي الرواقب يحفروا وما يعرفوش
ولا يغرك هالغنى بكثر القروش   لمقام الباز ما يلفيش بوم
لمقام الباز ما يلفي غراب   بيت عامر خير من عشره خراب
لا تبدلوا قمح المصوّل في تراب   يا اكلتي راس الطعام بما بصوم ·

وكان عاشقاً بفتاة فقام البعض للافساد بينهما فلما علم بالامر سألها فوجدها باقية على العهد فقال :

يابو الضفاير عالكتاف جادل   بقصتك اربع قضا بجادل
دير بالك يلعبو بعقلك   وجوهره بنحاس لا تبادل
. . . .   ولو عطوك من الذهب ثقلك

كرسي الحكم والتاج بليقلك شمعدان وشمع وقنادل
شمعدان وشمع لك يليق يا كامل الاوصاف والمنطق
عالعمر كله ما منتفرّق ألزم يفرّق حاكم العادل
ألزم يفرّق يفذا الخالق بودعك والروح بتفارق
حجه كلامك عندنا وصادق ولو قلت افو الجمر بمنادل
لو قلت لفو الجمر بالفوطه ومحبتك بالقلب محطوطه
عمال يجيبوا الدب للخوطه والريح ما بتطير محادل

ولــه عتاب وانذار

يازين يالي الاسم خالي من النقط ربي خلقكم ما خلق فيكم سقط
صار لي تعشر عام بنشد في هواك ما كنت تجبر خاطري بكلمة فقط
صار لي تعشر عام بنشد في هواك وما حلالي شخص في الدنيا سواك
ما لي اطاقه يا مدلل عاجفاك والكل حطوا عندنا ظن ونقط
والكل حطوا عندنا ظن وقسا ومحبتك بالقلب جوى مؤسسا
مركب جمالك حط في داري ورسا ومركزه عالصخر بصواص ونقط

في عرس بالقماطيه كان قوال غريب يقول مع ناصيف نصار .
فنظر الغريب الى النساء الجميلات وقال :

خيلكم ه‍الحمر بصلح حالها آخذه عقله بحسن اشكالها
تافك لي مهره وآخذها معي وان لحقتوني تجيبوا بدالها

فاجابه ناصيف

كلا اصايل خيلنا ما بتنسرق وكل مهره عارفه خيالها
من حينما تشوف الحرامي من بعيد بتكون لاقته جواز نعالها

خطاب وجواب

كانت في احدى قرى لبنان فتاة حسناء فتانة خطبها شاب من نواحيها ولدواع كثيرة تركتهُ وتركها فقصدها راغب من القماطيه قرية ناصيف نصار وتكال عليها وعاد بها فلما علم خاطبها الاول كتب الى ناصيف يشكو ويقول

يا طير ان سافرت صوب الغرب روح سلم عَلَى ناصيف والباقي خصص
في حروف السين قاري الف سين عندي كتاب يفوق عا كل القصص
. . . . . . دروبنا عشره عليها رابطين
انتو اشتريتو الارض نحن البايعين وارضنا يا ناس مقسومه حصص
ارضنا يا ناس مقسومه أراد من حدود الصين لبلاد الكراد
مهرة السمرا مضت منا شراد مكحولة العينين وذيالا قصص
مكحولة العينين من خيل الاصل وسيال عن صيت الها قبل ان تصل
خيالها يوم الوغى فكرو انشغل وما يهدي راسها ضرب الرصاص
وما يهدي راسها ضرب العصا رمل الحصى عندي ان حصيته ينحصي
عنك حصان البر عالعالم حصا خايضه في بطن امه والقنص

فاجابه ناصيف يقول

يلي بعثت كتاب لاعندي وصل | سلمت عاناصيف والباقي خصص
سايلت عن مهره اصيله محنجله | والذهب في عنقها رباع ونصص
سايلت عن مهره اصيله محنجله | بتميل بالميدان لمن تنجلي
حولها سباع الفلا والمرجلي | والِلي يقرّب صوبها يصير لو قصص
والِلي يقرب صوبها يصرلو قصار | خيالها رماح والسعفه كتار
يطحموا عالقوم في يوم الشرار | يهجموا عالدم بيصوا مصص
بيهجموا عالدم بسيوف الطوال | والروس تبقى طايره مثل الحجال
ان كان مانك قدهم اصحا عقال | كاسرين العضم تكسير الحصص
كاسرين العضم تكسير القزاز | لا تركنوا للوقت وان كنتو عزاز
عالصدر رمان الذهب بين البزاز | الله حرمكم تقشعوا شوف البصص
الله حرمكم تقشعوا والغير شاف | يا شوقكم للشهد من بين الشفاف
الورد فتح عندنا ودار القطاف | مثل ايام الشرانق بالخصاص

وقال منصور ناصيف البارودي من سوق الغرب

غزل

لو انت خنت العهد ما بخونك | مهما عملت بكون ممنونك
صارت عيوني مثل وجناتك | والقلب صار يشابه عيونك
صارت عيوني مثل وجناتك | وحنيت عنقي مثل غنجاتك

روحي رهينه بين دباتك　　بالله ترحم قلب مفتونك
بالله ترحم قلب محبوبك　　إلما بيمشي غير عادروبك
ان قلت لك ياروح محسوبك　　مش لياقه تشوفني دونك
مش لياقه تصور تُعلا　　حالها صد وجفا حلا
ما كنت بادخل داركم واللاّ　　لو ما جفوني تحادث جفونك
لو ما شفافي تحادث شفافك　　ظنيت انه ما حدا شافك
زتيت قومي لاورا كتافك　　وصار الغريب يرشق غصونك
وصار الغريب يرشق اغصانك　　وخنت يلي العمر ما خانك
انا البذلت الروح عاشانك　　حتى دعوني الناس مجنونك
تاصارت الناسات تدعينا　　مثل ليلى وقيس صار فينا
فسّخ عهد البين قلبينا　　شوف مين البعد يصونك

قراديه لبعضهم

عا هالقامه ما شا الله　　وخدودك وردا الجوري
تحمين انتي شغل الله　　ونحنا شغل الفاخوري

من قول الخواجا نخله شيبان الغريب
وهو من الحروف المهمله

الحمد لله دوم ما طال الامد ... واسع الاحكام وهو مولى صمد
لا اله الاه ما اعلى سماه ... وكلما سواه ما حدّه احد
لا اله الاه ما اعلى سماه ... وكلما سواه لا واحد حصاه
اواه ما احلاه ما احلى عطاه ... اسمع لما اوصاه وامرح كالاسد
اسمع لما اوصاه واعمل صالحك ... الله مدارك صالحك ومصالحك
ومع حدود مطارحك وصالحك ... واعطى عطا ما حده علم وعدد
واعطي عطا عم العوالم كلها ... وكم عماره وكم ممالك حلها
وكم راح ملوك وصار ملوك محلها ... والدهر كلّ سروره هم وكمد
والدهر كل سروره هم وكدر ... وكم هدم اسوار وعساكر كسر
ما احد لمراحم المولى حصر ... ارسل ملاكه حارساً كهل وولد
ارسل ملاكه حارساً اعمالهم ... وكم رسول ارسله كرمالهم
اولاد آدم اكدوا امالهم ... لهم سما ولولادهم الله وعد
لهم سما ولولادهم امصارها ... وسهولها وطلولها واسوارها
وسرورها طول المدى واعسارها ... صلى وحمداً لا هموم ولا حسد
صلى وحمداً لا هموم ولا اسا ... وكل واحد حطط رحاله ورسا
عل وعسى اهل العلوم ردوا المسا ... وصاحوا كلامك عال احلى ما ررد
وصاحوا كلامك عال عال العال عال ... وكل مسرع صار سعره لك مال

العدل راس المال لاولادالحلال وكل عادل للسما الله صعد

وكل عادل للسما علاً وطار وما له الا الصلاه والصوم كار

وعالم الاسرار مع طول العمار احمدوه كلكم طول المدد

احمدوه الكل ادعاهم سوا وارسل الامطار وسهولا روى

ومحله وسع وصلاحه اوى اعلى سماه لا دعامه ولا عمد

وقال ايضاً في قرية عدلون الى رجل اسمه محمد طبنجي ومحمد كان يبيع بضاعه فراهن الحاضر بن عَلَى خرج البضاعة ان غلبه نخله وان غلبه ياخذ منه غلة فدان في عدلون

غير الصدق مـا ينطق لساني ولو حطيت في صدري طبنجي

سالت الناس عن اهل الفصاحه شهدوا الكل في محمد طبنجي

سالت الناس عن اهل الفصاحه شهدوا فيه انه شيخ ساحه

اتى يطلب برازي والكفاحه في ميدان سهله وسط مرجه

في الميدان يطلب لبرازي من دون اذن مني ولا اجازه

ويقصدني الى عدلون غازي واهل عدلون تحضر يوم فرجي

واهل عدلون تعطيني شهاده انا لي صيت شايع في بلادي

عَلَى اولاد الذكا لي رسم عاده مالا يجمعوا لوسط خرجي

مـا لا يجمعوه يا عشيري من اهل الذكا في كل ديره

صار واجب عليك تحط ميري كونك بالفصاحه لك رهجه

كونك لك رهجه بالفطانه على خرج البضاعة يا فرجي

عَلَى خرج البضاعه تقول عفته . وخصمك لا نظرته ولا عرفته
هذا القول منك جهل شفته تعمل مثل اعمال العبنجي

وقال ايضاً لمحمد المذكور وقد تأخر عن حضور جلسة معينة بينهما

يا طير خوذ كتابنا روح وتعا اقصد محمد خش داره الواسعه
قل له مرباي في بلاد الدروز ومسكني الشحار خاص مقاطعه
قل له مرباي في بلاد الدروز وبيت الغريب عزوتي واهل الفروز
كيف تحكي بحقنا وعندك يجوز وكيف تطلب حربنا ومصارعه
وكيف تطلب حربنا وقتالنا وانت تعرف اهلنا وابطالنا
بالف فارس بنحسب خيالنا نقهر عدانا بالسيوف القاطعه
نقهر عدانا بالسيوف البارقه ورماحنا صدور الاعادي خارقه
وحق ربي يحضروا كالصاعقه حين يوصلهم خبر بالواقعه
حين يوصلهم خبر فيما جرى يحضروا مثل السباع الكاسره
تنظر شباب مثل الاسود مخطره بوجوه تلمع كالبدور الطالعه
بوجوه تلمع كالكواكب بالدجى حافظين الفن بحروف الهجا
وينقطع يا صاحبي حبل الرجا وما بيبقى للندامه منفعه
ومـا بيبقى باب ملجا للفرج الفضل للبيجبروا قبل العرج
دارك امورك لا تقول عالي الدرج بيهدموا سوار الرفيعه المانعه
بيهدموا الاسوار ما يفيد الحصار يصير وقعه مشابهه وقعة نصار
لا تقربوا من النار يلحقكم شرار يخشوا العمار وينزلوا من القافعه

ندبات ومراثٍ

من قول الخواجا نخلة شيبان الغريب

اقفلوا بواب السرايا   ولا بقيتم تفتحوها
اكسروا رماح الطويله   و بعدسيدي احرقوها
اكسروا رماح الطويله   وثلموا سيوف الصقيله
مهرة الحمرا الاصيله   بالعجل هاتوا اقتلوها
واقتلوا خيول الطليعه   واهدموا ابراج المنيعه
دار سيدي هالوسيعه   بالحداد قوموا اصبغوها
واصبغوا ثياب العذارى   يا دروز ويا نصارى
خسرت الشحار خساره   منين بعد بتربحوها

وقال

السيف يبكي والفرس حزناني   تبكي عليك ياقاهر الفرسان
شفت عود الزان لاوي ومنحني   يبكي عليك وحربتو ذبلاني
شفت عود الزان لاوي ومنحني   مين غيرك ينقلوا بدار الدني
كل من يقصد لبابك يغتني   بالجود حاتم بالمراجل هاني

وقال ايضاً

يا اهل لبنان نوحوا   والبسوا ثوب الحداد
غاب بدر الكان طالع   راح ركن من البلاد
غاب بدر الكان طالع   برجنا بالنحس طالع

يا عيون رشي المدامع　　واندبي فرخ الاسد
واندبي طول الليالي　　فقد ركنٍ كان عالي
كان قيدوم الموالي　　وكان ملجا وينقصد
كان ملجا للسرايا　　وكان قيدوم السرايا
صاحب كفوف السخايا　　المثل سيدي ينفقد

وقال ايضاً

يا اهل لبنان نوحوا　　واندبوا طول الليالي
واذكروا بحر المكارم　　مثل ابو مرعي الهلالي
واذكروا بحر المكارم　　هالذي انشا المراحم
كان يكره للمظالم　　كان يقهر كل عالي
كان يقهر كل شامخ　　كي يصير للارض راضخ
عزت قلام النواسخ　　عن ثنا مولى الموالي

وقال الشيخ محمد قاسم من شحيم

خيي بو حسن اسمع كلامي　　انا الخرسان نطقت لي وحكت لي
ولا تكنشي عَلَى طبعك ثقيله　　ياما ناس قبلك سلمت لي
ولا تكنشي عَلَى طبعك ثقيله　　نحنا سيوفنا حدبا وصقيله
ان كان سمعت بسطوة عقيله　　يوم الروع ما سواش مثلي

يوم الروع ما سواش مثالي — انا عالي ولي بالنصر عالي
انا محمد وتشهد لي فعالي — انا محمد وربعي شاهدتلي
انا محمد ومتكي بقاسم — بحر الفن قسمته مقاسم
عمره ما اتاني ولا مخاصم — حتى صيرته الناس مثلي
حتى صيرتلو الناس انه — ويبطل للدكا وقول المغنى
انا لي عاولاد الكار سنه — رميه كل عام بتبعتلي
رميه بيبعتوها بنصاحه — وبلبل سعدنا عالغصن صاحا
حيث وسمت حالك بالفصاحه — صارت عاجنابك واجبة لي

✱ مطلع من قوال شهير ✱

هو فارس مراد الخوري الذي صار اليوم كاهناً جليلاً يخدم رعية الناعمة المارونية

باسم الخوري يوسف يوحنا

يا خليل تأمل بغدر الزمان — شوف انقلابه كيف صار وكيف كان
كم الف قلب اسود من جوره الفظيع — وكم الف راس ابيض منه بلا اوان
كم الف قلب اسود من جوره الفظيم — وكم شاب منه شاب حتى والرضيع
وكم ذري ماله نسب صبح رفيع — وكم سلاطين ووزر باتوا بخان
كم سلاطين ووزر باتوا بكدر — وكم الف طالب خاب ظنه وما قدر
كم الف عاقل في هموم وفي كدر — وكم الف جاهل في سرور واطمنان

كم الف جاهل بات مسرور الكبد — وكم الف عاقل في هموم وفي نكد
ان جلس باض الحمام عَلَى الوتد — وان عكس عالسبع يتباهى الاتان
عكس باهى الاتان عَلَى الاسود — وان جلس تبقى المحبه والعهود
صيك لا تسلم زمامك لا حسود — لو ظهر لك من مناصيبه الامان
د ظهر لك من مواعيده الوداد — جوفه مخبي غش وخداع وفساد
لا يغرك لمس افعى بوسط واد — عند التقلب احتذر سم السنان
عند التقلب احتذر سماً كثير — لا يغرك لمس ناعم كالحرير
داخله مع خارجه جوف القفير — يعود يظهر كل شي بالامتحان
يعود يظهر كل شي بالتجربه — لكن بعود بقول هيدي تجربه
يا صاحبي اول معيشه مكربه — مداراة خاطر زيد وعبيد وفلان

ندبه

من قول الخواجا بولس رشيد رثاءً للمرحوم عباس عبده الغرّيب

ياغراب البين قلي — ليش متحطط علينا
تخطف اصحاب المروه — وكل شخص مليح فينا
تخطف اصحاب المروّه — وكل اصحاب الفتوه
دمعنا اليدا مروي — ونفسنا ثكلى وحزينا
ونفسنا ثكلى وحزيني — ذارفي دموع السخيني

راح سبع الكان زبني — وصار بالحفره دفينا
صار في طي المقابر — كان عالبلوات صابر
كان يخطب عالمنابر — كان فخر الخاطئينا
كان للشعرا سندها — كان ذخرا ومعتمدها
كان للميلة اسدها — وكان لها الركن المتينا
كان لها الركن المشيد — كم بها ابراج شيد
آه لولا البين حيد — عنه في نعمه بقينا
آه لو يسلم سلمنا — وفي هنا وسرور دمنا
البين عاغفله وهمنا — واخطف الدره الثمينا
واخطف الدره النقيه — صاحب كفوف السخيه
ياخسارتنا الوهيه — فيك يا شخص الامينا

انتهى